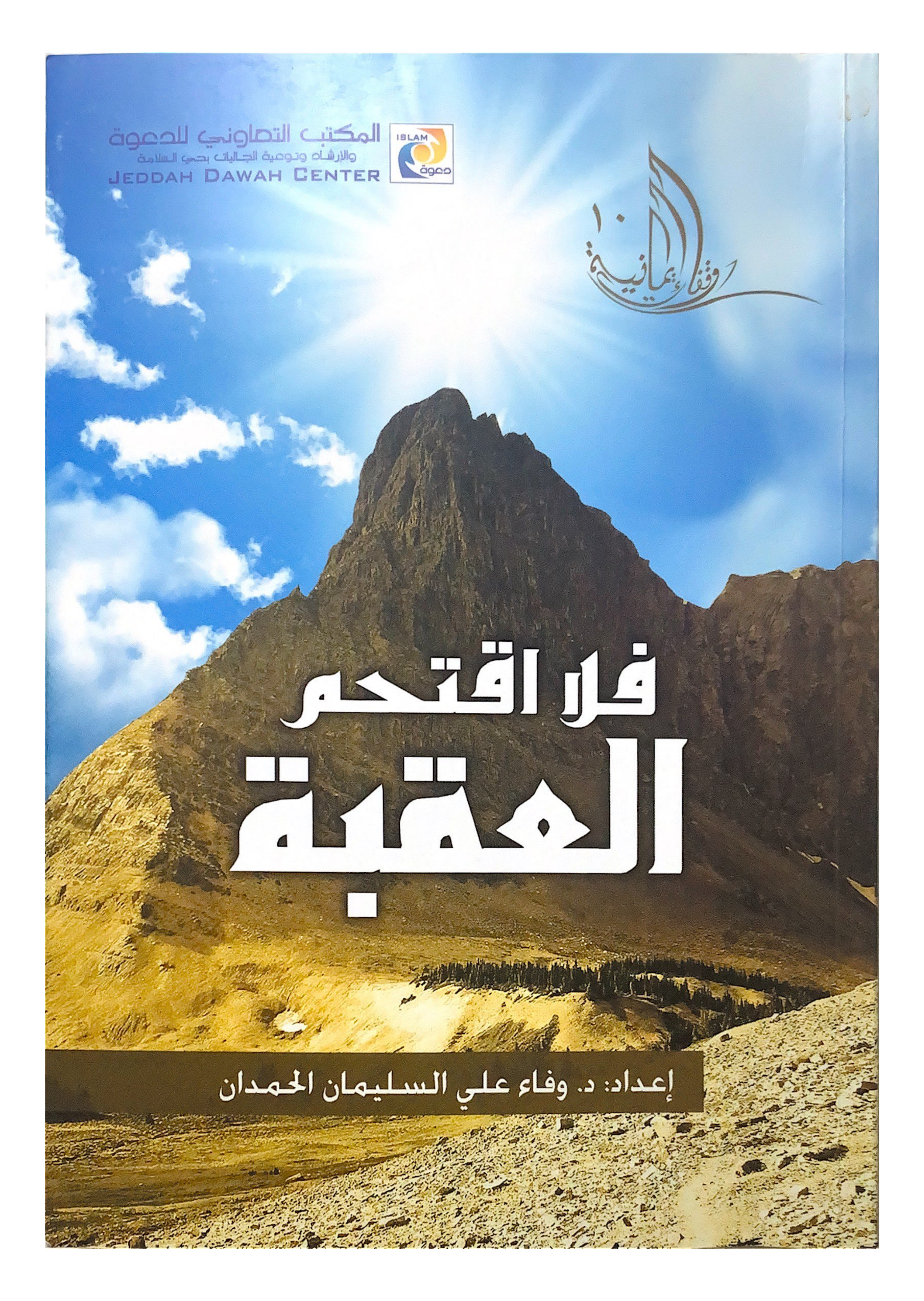


المكتب التعاوني للدعوة
والإرشاد وتوعية الجاليات بحي السلامة
JEDDAH DAWAH CENTER
ISLAM
دعوة
وقفات إيمانية ١٠
فلا اقتحم
العقبة
إعداد: د. وفاء علي السليمان الحمدان

# وقفات إيمانية

مع قول الله تعالى:

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾

البلد: ١١

إعداد:

د.وفاء علي السليمان الحمدان

ح المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحي السلامة ، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمدان ، وفاء علي السليمان

وقفات إيمانية مع قول الله تعالى : ( فلا أقتحم العقبة ) . / وفاء علي السليمان الحمدان — جدة ، ١٤٣٤هـ

٩٦ ص ؛ ١٤ X ٢١سم

ردمك : ٣ - ٢٥ - ٨٠٥٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- القرآن - التفسير الحديث أ- العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣٤/٤١٩

رقم الايداع : ١٤٣٤/٤١٩

ردمك : ٣ - ٢٥ - ٨٠٥٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة






المملكة العربية السعودية - جدة - حي السلامة
ص.ب ٦٨٩٧ جدة ٢١٤٥٢ -هاتف : ٦٨٢٨٨٨٨ فاكس : تحويلة ١١١
Saudi Arabia - P.O.Box 6897 Jeddah 21452
Tel. 6828888 Fax. Ext.111 www.jdci.org
حساب المكتب بمصرف الراجحي ٣١٤٦٠٨٠١٠٠٤٩٠٩٧


بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومن يُضلِلِ فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورَسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن من كَرَمِ الله وإحسانه علينا - والذي لايُطاق تقدير قدره - تفضيله لنا على كثيرٍ ممَّن خلق بجميع وجوه الإكرام والتفضيل التي ليست لغيرنا من أنواع المخلوقات، فما من شيءٍ طيبٍ تتعلق به حوائجنا إلا وقد أكرمنا الله به، ويسره لنا غاية التيسير،

فكرَّمنا بنعمة العقل والعلم، وزودنا بنور الفطرة التي نستطيع بها أن نعرف ربنا، ونستدل بها على صراطه المستقيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠. والفطرة هي: "الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدةٌ ومهيأةٌ لأن يُميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه، ويعرف بها شرائعه ويؤمن به"[١]، "هكذا خلق الله الرحيم اللطيف بعباده الذي فطرهم على قبول الإسلام،

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (مصر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج١٤، ص٢٩. ويراجع: المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، إعداد وترتيب: عبدالعزيز عزالدين السيروان. (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، عام ١٩٨٦م)، ص٣٢٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف: بالراغب الاصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عتياني. (بيروت: دار المعرفة، ط١، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٣٨٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري. (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٢١٥.

والميل إليه دون غيره، والتهيؤ لذلك والاستعداد له بقوة"[٢]، "فجميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها"[٣]، "كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات"[٤]، "فإذا تُركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفًا بالله محبًا له عابدًا له وحده"[٥]، ومن خرج عن هذا الأصل،

---

[٢] التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد بن علي آل عبداللطيف. (الرياض: دار الوطن، ط عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص٢٥٦.

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي. (عنيزة: ط عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٦، ص١٢٦.

[٤] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٤، ص٢٩.

[٥] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. (الرياض: دار عالم الكتب، ط عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ج١٠، (علم السلوك)، ص١٣٥.

فلعارض عرض لفطرته أفسدها، كما أخرج البخاري[٦] من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ[٧]، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ[٨]؟)، ثم يقول

---

[٦] صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري. (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، ج١، ص ٩٧-٩٨.

[٧] هي البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليمًا من العيوب والآفات، لم يذهب من بدنه شيء، سُميت بذلك لاجتماع أعضائها.

[٨] الجَدْع: قطع الأنف والأذن والشَّفة، وهو بالأنف أخص، والجدعاء المرادة بالحديث: هي مقطوعة الأُذن. **ومعنى الحديث:** أن المولود يُولد على نوع من الجبلَّة، وهي فطرة الله تعالى وكونه متهيئًا لقبول الحق طبعًا وطوعًا، لو خلَّته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غيرها، فضُرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلاً، فالبهيمة تُولد مجتمعة الخلق، سوية الأطراف، سليمة الجذع، لولا تعرض الناس إليها لبقيت كما ولدت سليمة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. (مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع)، ج١١، ص٢٤٦-٢٤٧، ص ٢٩٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،

أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

إن فساد الفطرة أمرٌ محتمل واردٌ سواء أكان من البيئة المحيطة بالإنسان كما في الحديث السابق أو من النفس وإغواء الشيطان ووسوسته، أو من فتن الشهوات والشبهات، فكان من تمام رحمة الله تعالى بعباده أن بعث رسله عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين معهم الكتاب والميزان ليعتدل أمر الناس، ويستبينوا طريق الله تعالى من طريق الشيطان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ الحديد: ٢٥ ، ثم جاء النبي ﷺ بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى ما دعت إليه الرسل من التزام الصراط المستقيم، ووصفه

---

تصحيح وتعليق: عبدالعزيز بن باز. (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر)، ج٣، ص٢٥٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٤، ص٢٩.

ربنا بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ٥٣ ﴾ الشورى: ٥٢ – ٥٣.

إن الثبات على الصراط المستقيم هو محور الصراع بين الخير والشر، والطاعة والمعصية، وبين ما دعا إليه الرسول ﷺ وما تسعى إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان الرجيم[٩]، لذا كانت العمدة في سعادة الإنسان وشقاوته في الحياة الدنيا على اختيار أحد الطريقين، ولقد تكاثرت نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة الموجهة للإنسان ـ منا ـ لاقتحام موانع الطاعة وصوارفها من النفس والشيطان والهوى والدنيا، وذلك بصدق الإيمان بالله

---

[٩] انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد: مجموعة من المختصين. (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط١، عام١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج١، ص (س ز) (س ح) المقدمة.

ﷻ والعمل الصالح، وترك المعاصي الظاهرة والباطنة، فبهذا تتم السعادة وإلا فثَمَّ الشقاء.

وسورة البلد المكية، وآياتها عشرون آية من النصوص القرآنية المُبيِّنَة لهذا المعنى، والماضية على مقاومة الإنسان لإغراءات نفسه وهواه وشيطانه، وذلك متمثلٌ في قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ البلد: ١١.

ومن هنا تبرز أهمية الحديث عن فقه المكابدة والمجاهدة لرعونات النفس، وكيفية اختراق الموانع والعقبات التي تحول بين العبد وبين طاعة مولاه.

فكانت هذه الوقفات الإيمانية التذكيرية: دراسة شرعية ذات مسالك تأصيلية في بيان العقبة الكؤود، النفس الأمارة بالسوء، كثيرة الذنوب والعيوب، اللاهثة وراء الشهوات الفانيات، الزاهدة

في الباقيات الصالحات، العاجزة عن اقتحام عقبات يوم التناد، وذلك بالوقوف معها وقفات طويلة لفك أسرها، وعتقها بعد رِقّها، لتُحسِن عبادة ربها فيما بقي من عمرها، الذي جعل ﷻ لحياتها أجلاً، ولأيامها وأنفاسها أمداً.

فهنيئًا لمن اقتحم عقبة نفسه فباعها لله، فجازاه الكريم باجتياز عرصات وعقبات يوم العرض الأكبر.

وحقًا..

ربح البيع[١٠]، ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ التوبة: ١١١، الذي لا فوز أكبر منه ولا أجل، حيث

---

[١٠] وردت هذه العبارة في حديث أخرجه أحمد في مسنده من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إنّ لِفُلانٍ نَخْلَةً، وَإِنَّمَا أُقِيمُ حَائِطِي بهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا، فقال النبي ﷺ: (أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ)، فَأَبَى، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي، قَالَ: فَفَعَلَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا،

السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات.

وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله ﷻ

وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها: جنات النعيم.

وإلى الثمن المبذول فيها وهي: النفس التي هي أحب الأشياء للإنسان.

---

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَّاحٍ ـ أي: ثقيل ـ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ)، قَالَ ذلك مِرَارًا، قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: **"رَبِحَ الْبَيْعُ أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا"**.

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، "وبهامشه كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال". (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ج٣، ص١٤٦. وحكم عليه الهيثمي بقوله: ورجاله رجال الصحيح. انظر: بُغية الزائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش. (بيروت: دار الفكر، ط عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٩، ص ٥٣٩.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل ﷺ.

وبأي كتاب أُنزل، وهو القرآن العظيم[١١].

وبعد..

"كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"[١٢].

فيا محبي الجنان ورؤية وجه الرحمن: ها هي الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله[١٣]، وهي سلعة الله الغالية[١٤]، لا يدخلها

---

[١١] انظر: تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٣.

[١٢] أخرجه مسلم من طريق أبي مالك الأشعري رضي الله عنه. **ومعنى الحديث:** أن كل إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان، والهوى باتباعها فيوبقها أي يُهلكها. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج١، ص٢٠٣.

[١٣] أخرجه البخاري في صحيحه من طريق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَلْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ). كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، ج٤، ص ١٧٦- ١٨٧.

برحمة الله إلا من خاف يوم الوقوف بين يديه، فبكَّر بالطاعة واقتحم عقبة نفسه وهواه وشيطانه ودنياه.

والله وحده المستعان وهو الذي عليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

**ومعنى الحديث:** أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١١، ص٣٢١.

[١٤] ورد هذا المعنى في الحديث الذي أخرجه الترمذي من طريق أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ). سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبدالرحمن محمد عثمان. (بيروت: دار الفكر، ط٢، عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٤، ص٥١، والحديث: صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

# الوقفة الأولى

## في تعريف العقبة لغة وشرعًا.

**أولاً: تعريف العقبة لغة**[١]:

مصدر عَقَبَ يَعْقُبُه عَقْبًا.

يُقال: عَقَبَ فلانٌ مكان أبيه عاقبةً، إذا خَلَفَه.

وكلُّ شيءٍ جاء بعد شيءٍ وخَلَفَهُ فهو عَقْبُه، كما أن عَقِبَ كلَّ شيءٍ آخره.

وعقَّب في الأمر: إذا تردَّد وسعى في طلبه مُجِدًا.

---

[١] انظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (بيروت: دار صادر)، ج١، ص٦١١-٦٢١. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (دار الكتاب العربي)، ج١، ص ١٠٦- ١٠٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (ط٢، عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، ج١، ص ١٨٤- ١٨٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٤٣-٣٤٤.

والعُقْبى: الرجوع، ومنه قولهم: أَعْقَبَ عن الشيءِ: إذا رجع عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾النمل: ١٠، أي لم يلتفت وراءه.

كما تُطلق العُقبى ويُراد بها: جَزاءُ الأمر، يُقال: أَعْقَبَهُ على ما صنع: إذا جازاه، وهي تختص بالثواب، نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾الرعد: ٢٢ ، والعُقُوبَةُ والمُعَاقبةُ والعِقَابُ: تختص بالعذاب، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾النحل: ١٢٦.

والعَقَبَةُ مفرد: عقباتٌ وعُقَبٌ وعِقابٌ، وهي: الطريق الطويل الوعر الصعب الشديد المُرتقى في الجبل.

وهذا المعنى الأخير هو ألصق وأقرب المعاني المرادة بهذه الوقفات، حيث تضمن المقصود بالعَقَبَة لغة على معنيين:

الأول: الصعوبة ووجود عائقٍ ما يعترض أو يحول دون تحقيق شيءٍ وبلوغه.

الثاني: الطريق الصعب في الجبل.

وبهذا يتبين شمولية معنى العقبة لغة على العقبة الحسية والمعنوية.

## ثانيًا: تعريف العقبة شرعًا:

إن المتدبر والمتأمل لأقوال أهل التفسير والعلم في المراد من العقبة يلحظ: اختلاف عباراتهم في تأويلها، وإن كان يجمعها ضابط المشقة والعنت، فمنهم[٢] من فسرها بأنها عقبة معنوية

---

[٢] انظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ج٢٢، ص ٢٩٨-٢٩٩. الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. (الشارقة: جامعة الشارقة، ط١، عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ج١٢،

تكون في الحياة الدنيا، المقصود بها: التشبيه والتمثيل للعمل الشاق على النفس بعقبة الجبل، فيكون ذكر العقبة في الآية بمنزلة المثل الذي ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر والخير والصلاح، وترك الشر والفساد كالذي يتكلف صعود الجبل، فمجاوزته صعبة، والترقي إليه شديد،

---

ص٨٢٧٩-٨٢٨٠. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، على محمد معوّض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٨، ص ٤٧١. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق: أحمد فريد. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م)، ج٣، ص٤٨٦. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٨، ص ٣٢٦ – ٣٢٧. بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم الجوزية، جمع وتوثيق: يسري السيد محمد. (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٥، ص٢٢١. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي. (القاهرة: دار الغد العربي)، ج١٦، ص ٤٢٤ -٤٢٥.

وهكذا هي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس تتطلب محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما هو مطلوب منها في الشرع، وبهذا المعنى فُسرت العقبة بالطريق الذي فيه نجاة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة من العقبات والمعوقات التي تحول دونه ودون سيره على صراط الله المستقيم، وهي أربع عقبات ثنتان خارج ذات الإنسان وهما الشيطان الرجيم والدنيا الدنيَّة، وثنتان داخلها وهما: النفس التي بين الجنبين، الأمارة بالسوء التي لا تدل على خير، والهوى المردي، وما أدراك ما الهوى، وأكثر هذه العقبات خطورة: النفس، فليس للشيطان ولا للدنيا ولا للهوى سبيل على العبد إلا من قِبل نفسه.

ومنهم[٣] من فسرها بأنها عقبة حقيقية تكون في الدار الآخرة على اختلاف بينهم في تحديد المراد بها على عدة أقوال:

أحدهما: أنها جبلٌ في جهنم.

الثاني: أنها النار.

---

[٣] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (بيروت: دار عالم الكتب)، ج٢٤، ص ٤١٩ – ٤٢١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة. (دار طيبة للنشر والتوزيع)، ج٨، ص ٤٠٥. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٦، ص ٥٩٦. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (بيروت: دار الفكر، ط عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٥، ص ٥٧٦. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٨، ص ٢٦٨ – ٢٦٩. النُكت والعيون "تفسير الماوردي"، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، مراجعة وتعليق: السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم. (بيروت: دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية)، ج٦، ص ٢٧٨. الضوء المنير على التفسير "من متن كتب ابن القيم الجوزية"، علي الحمد المحمد الصالحي. (الرياض: مكتبة دار السلام)، ج٦، ص ٣٦٦.

الثالث: أنها الصراط[٤].

الرابع: أنها الخلاص من هول العرض.

الخامس: أنها سبعون دركة في جهنم.

السادس: أنها عقبة بين الجنَّة والنَّار.

وبناء على ما تقدم ذكره من تأويلٍ للمراد من العقبة يتبين:

أنه لا تعارض بين التأويلين، وأن كليهما محتملان لما يلي:

---

[٤] الصراط هو: الجسر الممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله، وأنه يُنصب في ظلمة فيُعطى الناس أنوارًا على قدر إيمانهم، ويمرون فوقه على قدر إيمانهم. انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط عام ١٤١٣هـ)، ص ٤١٤ -٤١٦. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء. (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط عام ١٤٢١هـ)، ص ٢٣٧. الإيمان باليوم الآخر، محمد بن إبراهيم الحمد. (الرياض: دار ابن خزيمة، ط٢، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٦٠-١٦٣.

١. دخول (أل الجنسية) على لفظة (عقبة) التي تفيد وتشمل استغراق جميع أفراد جنس العقبة[٥]، ما كان منها حسيًا ماديًا، أو معنويًا دنيويًا أو أُخرويًا.

٢. إن من اليقين الثابت أن من لم يتجاوز عقبات هذه الدار الأربع أنى له أن يتجاوز عقبات الآخرة، فعقباتها - أي الآخرة - كؤود وشديدة، ولا فكاك منها إلا بطاعة الله،

---

[٥] كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ النساء: ٢٨، أي: كل فرد منه خُلق ضعيفًا. انظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، مراجعة: عبدالمنعم خفاجة. (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ط٢٨، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص ١٤٨. معجم البلاغة العربية، بدوي ظبانة. (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط٣، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٤٠. شرح مختصر الروضة، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبدالقوي ابن سعيد الطوفي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط٢، عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٢، ص٤٦٦.

وترك معصيته، فلا تقتحم عقبات دار المقامة، إلا بعد ـ رحمة الله ـ باقتحام عقبات دار الابتلاء والاختبار.

٣. إن من استقرأ نصوص القرآن الكريم التي ورد فيها قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾، يكون عقبها إخبار وإعلام للرسول ﷺ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ الانفطار: ١٧ - ١٩، ونظائرها في القرآن الكريم كثير، وأما الآيات التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ فإنها لا تتضمن إخباره وإعلامه ﷺ بشيء، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٣، وغيرها من الآيات، وذلك أن "ما" في الموضعين للاستفهام الإنكاري، لكن في ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ إنكار ونفي للإدراك في الحال

والمستقبل، فإذا نفى ﷻ ذلك في المستقبل لم يُخبره ولم يُفسره، وفي ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ إنكار ونفي لتحقق الإدراك في الماضي، ولا ينافي تحققه في الحال أو المستقبل، فأخبر الله به وفسَّره[٦]، والشاهد في هذا الاستدلال ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴾، حيث فيه تعظيم لشأن العقبة وتفخيمٌ لأمرها، وبيان بعد ذلك لتفسير ماهية اقتحامها واجتيازها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾البلد: ١٣

---

[٦] انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج٥، ص٥٧٧. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج١٠، ص٢١٠. الضوء المنير على التفسير، الصالحي، ج٦، ص ٣٦٥-٣٦٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوّض. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٢٠، ص ٣٤٨.

- ١٦ ، ومعلوم أن هذه الأعمال إنما تكون في الحياة الدنيا وأمثالها من الأعمال الصالحة، فمن لم يأت بها يوم القدوم على مولاه، كيف له أن يسلك عقبة الآخرة، والتي يهبط منها إما إلى جنة وإما إلى نار[٧].

وبهذا القدر من البيان لتعريف العقبة لغةً وشرعًا يظهر أن بين الدلالة اللغوية والشرعية للعقبة ارتباطًا كبيرًا فحواه:

أن كلا التعرفين يتصفان بالعموم والشمول، واستغراق جنس العقبة في كلا الدلالتين الحسية والمعنوية، كذلك ضابط العناء والمشقة والصعوبة معنى يلحظ اعتباره في العقبات اللغوية والاصطلاحية.

---

[٧] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٢، ص ٣٠٠ -٣٠١. الضوء المنير على التفسير، الصالحي، ج٦، ص ٣٦٥-٣٦٧.

إن البحث في هذه الوقفات سوف يتركز - كما سبق ذكره في المقدمة - حول عقبة النفس الأمارة بالسوء، التي تريد هلاك العبد وخسارته، وكيف السلامة منها بدوام تزكيتها وجهادها وتهذيبها وتنقيتها ومحاربتها حتى يتم الظفر بها وفتحها فتحًا مبينًا، ومن ثم تسخيرها وتعبيدها في طاعة مالك أمرها حتى تلقاه.

# الوقفة الثانية

## في بيان معنى اقتحام العقبة.

نصت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ على نفي اقتحام العقبة في حق من عدل عن الاستقامة إيثارًا للعاجل على الآجل مع قيام أسباب الاهتداء وأدواته من الإدراك[1] والنطق[2]، وسبق في الوقفة الأولى تحديد المراد من العقبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ وحَسُن في هذه الوقفة بيان حقيقة اقتحام العقبة حتى يُعمل بها ويُصار إليها حتى الممات، فيخرج العبد

---

[1] كما جاء مصرحًا به في قوله تعالى في السورة نفسها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ البلد: ٨ – ١٠.

[2] انظر: التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور. (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، عام١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٣٠، ص ٣١٥.

بهذا الاقتحام من عهدة التوبيخ والذم، ويتحرر من عبودية نفسه وشهواتها إلى عبودية خالقه ومولاه.

## أولاً: تعريف الاقتحام لغة[٣]:

مصدر: اقْتَحَم يَقْتَحِمُ اقْتِحَامًا، فهو مُقْتَحِمٌ.

والاقتحام: الدخول في الأمر الشديد.

يُقال: اقتحم الإنسانُ الأمرَ العظيم، وتقحَّمَهُ: إذا رمى نفسه فيه من غير رويَّة وتثبُّت.

والقُحْمَةُ بالضم: المهلكة والسَّنة الشديدة.

---

[٣] انظر: الصحاح، الجوهري، ج٥، ص٢٠٠٦. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج٤، ص ١٦١. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود. (بيروت: دار المعرفة، ط عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٣٥٦. النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، ج٤، ص ١٨-١٩. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٩٥.

ومنه قولهم: أصاب العرب القُحْمَةُ: إذا أصابهم قحط.

والقُحَمُ: صِعاب الطريق، والمهالك والأمور العظام.

قُحَمُ الطريق: مصاعبه.

واقْتَحَمَ المكان هاجمه، ونحله عنوةً.

ومما تقدم: يتضح أن مدار الاقتحام في اللغة على الدخول العسير في الأمر الشديد، ويصدق هذا الاقتحام على اقتحام الأمور الحسية والمعنوية.

## ثانيًا: معنى اقتحام العقبة:

هو: اختراق ومجاوزة الموانع المانعة من طاعة الله، من تسويل النفس واتباع الهوى والشيطان والدنيا، ومجاهدة النفس في فعل

الطاعات وترك المحرمات بتحصيلها والتلبس بها[٤]، فحال من تقحم نفسه وجاهدها كحال من يتكلف صعود العقبة لا بدَّ من مشقة يلقاها حتى يسلم من السقوط والتردي، وتُحمد عاقبةُ أمره، "ولا بدَّ من فطام النفس عن الشهوات، ونزعُ القلب عن الأماني والشهوات"[٥] وكفها عن إرادتها من الشغل بغير طاعة الله، والابتعاد بها عن حِمى الإثم والعصيان.

وبهذا يُعلم:

---

[٤] انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي. (بيروت: دار الفكر، ط١، عام ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٣٠، ص٢٥٠. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حمّوش. (دمشق: ط١، عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ج٨، ص ٤٥١. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صدِّيق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري، تقديم ومراجعة: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري. (مصر: المكتبة العصرية، ط عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج١٥، ص٢٤٥. الفتوحات الإلهية، العجيلي الشهير بالجمل، ج٨، ص ٣٢٧.

[٥] موسوعة نظرة النعيم، مجموعة من المؤلفين، ج٨، ص ٣٣٠٣.

أن اقتحام عقبة النفس يتحقق: بمنعها عن المعاصي الباطنة والظاهرة، وبمنعها من الشهوات والشبهات كلها، فهي عدوٌّ منازع لا يُخلص منها إلا باقتحامها ومجاهدتها وبصدها عن التمني والتشهي وهذا الاقتحام شاقٌّ على النفس، وتزداد هذه المشقة كلما ازدادت عداوة النفس لصاحبها، وتحكم الأهواء فيها، والتعلق بحظوظها، وهذا لا يعني أن يبذل العبد فوق طاقته، أو أن يتحمل أكثر مما يقدر عليه، وإنما كرامتها ونجاتها وحقها في ضبطها والتحكم فيها، لتسير في طريق صلاحها وسعادتها، وذلك لما تتصف به النفس الأمارة من معاندة وزيغ عن طريق الحق، فمن غفل عنها جعلته عبداً لأهوائها، ومن يتيقظ

لمجاهدتها سَلِمَ من شرِّها، وسار في طريق الاستقامة، وقد خفَّت أمامه العوائق والعلائق[٦].

فالنفس كجبلٍ عظيمٍ شاقٍ في طريق السير إلى الله ﷻ، وكلُّ سائرٌ لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بدَّ أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه، وفي ذلك الجبل أودية وشعاب، ولصوص يقطعون على السائرين، فإذا لم يكن معهم عُدَدُ الإيمان ومصابيح اليقين تتقد بزيت الإخبات، وإلا تعلَّقت بهم تلك الموانع وتشبثت بهم تلك القواطع وحالت بينهم وبين السير.

إن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته، والشيطان على رأس ذلك الجبل يحذر الناس

---

[٦] منهج الإسلام في تزكية النفس، أنس أحمد كرزون. (جدة: دار نور المكتبات، ط٢، عام١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٣٧٧-٣٧٨.

من صعوده وارتفاعه ويخوفهم منه، وكلما رقى السائر في ذلك الجبل اشتد به صياح القاطع وتحذيره وتخويفه، فإذا قطعه وبلغ نهايته، انقلبت تلك المخاوف كلهن أمانًا وحينئذ يسهل السير، وتزول عنه عوارض الطريق ومشقة عقباتها، ويرى طريقًا واسعًا آمنًا يُفضي به إلى المنازل، فبين العبد وبين السعادة والفلاح: قوة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب[٧]، لذا يجب على العبد الصادق في اقتحام عقبات الدنيا والآخرة ألا يُوحشه انفراده في طريق سفره، ولا يغتر بكثرة المنقطعين، فألمُ انقطاعه واصلٌ إليه دونهم، وحظه من القرب والكرامة مختصٌ به دونهم، وليَعلم أن هذه الوحشة لا تدوم، بل هي من عوارض الطريق، كما

---

[٧] انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج٢، ص ١٧٤-١٧٥.

عليه ألا يستوحش مما يجده من كثافة الطبع وروغان النفس، وبطء سيرها، فكلما داوم على السير، وواظب عليه غدوًا ورواحًا وسَحرًا، قَرُبَ من الدار، وتلطفت تلك الكثافة، وذابت تلك الخبائث والأدران، فظهرت عليه همَّة المسافرين وسيماهم، فتبدلت وحشته أُنسًا، وكثافته لطافةً، ودرنه طهارةً، ولا يزال هذا دأبهُ حتى يطوي مراحل عمره كلها، فَيُحمد سعيه ويبتهج بما أعدّه ليوم فاقته وحاجته، فإذا طلع صبح الآخرة، وانقشع ظلام الدنيا، فحينئذ يُحمد سراه، وقد لاح صباحه واستبان فلاحه[٨].

وخاتمة القول في دلالة اقتحام العقبة: يتمثل في هجر وترك ومجاوزة العوائق، وهي: أنواع المخالفات ظاهرها وباطنها، فإنها

---

[٨] انظر: تقريب طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية، إعداد: صالح أحمد الشامي.(بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، عام١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٣٠٧-٣٠٨، ٣١٠.

تعُوق القلب عن سيره إلى الله، وتقطع عليه طريقه، وهذه العوائق والعقبات لا تتبين للعبد حتى يأخذ في أهبة السفر، فحينئذٍ تظهر له هذه العوائق، وإلا فما دام قاعداً لا يظهر له كوامنها وقواطعها.

كما يتضمن اقتحام العقبة قطع وتجاوز العلائق، وهي: كل ما تعلَّق به القلب دون الله ورسوله ﷺ من ملاذِّ الدنيا وشهواتها وشبهاتها والتعلق بالخلق، ولا سبيل للعبد إلى قطع هذه الأمور الثلاثة ورفضها إلا بقوة التعلق بالله وحده، وإلا فقطعها عليه بدون تعلقه بربه ممتنع. وكلما قَوِيَ تعلُّقه به سبحانه وتعالى قوي عزمه على اقتحام العقبة بقيامه بما أوجب الله عز وجل وترك ما نهى عنه تبارك وتعالى[٩].

---

[٩] انظر: الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت. (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص٢٢٤-٢٢٥.

كان ما سبق: بيانٌ لتعريف معنى اقتحام العقبة، أمَّا بما يتحقق اقتحام العقبة فدلَّ عليه سياق النص القرآني التالي: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ البلد: ١١ - ١٦، فبيَّن جلَّ ثناؤه ما النجاة من العقبة، وما كيفية اقتحامها وقطعها بأنه:

أولاً: فكُّ رقبةٍ من الرِّق وأَسْر العبودية بعتقها، أو مساعدتها على العتق، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

ثانيًا: الإطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة، أشدّ الناس حاجة، وهو اليتيم القريب أو المسكين المحتاج الذي ليس له مأوى إلا التراب من شدة الفقر[١٠]، "وفي

---

[١٠] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٢٤، ص٤٢٢-٤٢٩. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مراجعة وتعليق: هشام البخاري، خضر عكاري. (بيروت: المكتبة العصرية)، ج٥، ص٥٦٢-٥٦٣. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ح٧، ص٦٣٠. ويُراجع: تفسير

هذا تنبيه على أن النفس لا توافق صاحبها في الإنفاق لوجه الله البتة، فلا بدَّ من التكليف وتحمل المشقة"[١١].

"ووجه تخصيص اليوم ذي المسغبة والمجاعة الشديدة بالإطعام فيه، أن الناس في زمن المجاعة يشتدُّ شحهم بالمال خشية امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات، فالإطعام في ذلك الزمن أفضل، وهو العقبة، ودون العقبة عقبات متفاوتة.

ووجه تخصيص اليتيم[١٢] بالإطعام: أنه مظنة قلَّة الشبع لصِغَرِ سنه، وفقد من يعوله، ولحيائه من التعرض لطلب ما يحتاجه،

---

السّمرقندي المسمَّى بحر العلوم، نصر الدين محمد بن أحمد أبو الليث السّمرقندي، تحقيق وتعليق: محمود مطرجي. (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر)، ج٣، ص٥٦٠-٥٦١. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج٨، ص٤٧١.

[١١] فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي البخاري، ج١٥، ص٢٤٦.

[١٢] هو الذي فقد والده قبل البلوغ. انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٥١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٢، ص٣٠٣. تفسير القرآن للإمام أبي المُظفَّر السمّعاني، منصور بن محمد بن عبدالجبار المروزي الشافعي،

فلذلك رغب في إطعامه، وإن لم يصل حد المسكنة والفقر، ووصفه بكونه ﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ من المُطعِم يُؤكد إطعامه لأن في كونه يتيمًا إغاثة له بالإطعام، وفي كونه ذا مقربةٍ صلة للرحم"[١٣].

والمقصود: "إن من سُبُلِ اقتحام العقبة إطعام الطعام، وخاصة عند انتشار الجوع ووجود الحاجة إليه، فإطعامه فضيلة، وهو مع الجوع أفضل"[١٤]، ومعلوم أن إخراج المال في وقت القحط والضرورة أثقل على النفس - كما تقدم ذكره - وأوجب للأجر[١٥]،

---

تحقيق: أبوبلال غنيم بن عباس بن غنيم. (الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٦، ص٢٣٠. التعريفات، الجرجاوي، ص٣٣١.

[١٣] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج٣٠، ص٣١٦.

[١٤] التفسير المأمون، مأمون حموش، ج٨، ص٤٥٣.

[١٥] انظر: الفتوحات الإلهية، العجيلي الشافعي، ج٨، ص٣٢٧. التفسير الكبير، الرازي، ج١٦، ص٤٢٧.

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ البقرة:١٧٧، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾الإنسان:٨.

ويُلحظ أن هناك تأويل آخر لقوله تعالى: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾، وهو فكُ المرء رقبة نفسه، وخلاصها من الذنوب بالتوبة واجتناب المعاصي وفعل الطاعات وبما يتكلفه من العبادة التي يصير بها - برحمة الله - إلى الجنة وهي الحرِّية الكُبرى، ويتخلص بها من النار وهي الرِّق الأعظم[١٦]، فلفظ الآية خاص ويُراد به العموم، وهو فعل ما

[١٦] انظر: النُّكت والعيون، الماوردي، ج٦، ص٢٧٩. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ج٢٠، ص ٣٤٩. معالم التنزيل، البغوي، ج٥، ص٥٧٨. التفسير الكبير، الرازي، ج١٦، ص٤٢٦.

أمر الله به من الإيمان والعمل الصالح[١٧]، والنص يحتمل هذا التأويل والذي قبله[١٨].

وخاتمة القول في معنى اقتحام العقبة هي: مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن، وهذه هي العقبة الشديدة، التي يلحقه مشقة في سلوكها وعبورها، ولكن خفيف الظهر الذي صَدَّقَ الخبر، وأَطَاعَ الأمر، وتَرَكَ النهي يُطيق اجتيازها، برحمة الرحيم، وعون المعين.

---

[١٧] انظر: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو طالب القيسي، ج٢، ص٨٢٧٩-٨٢٨٠.

[١٨] انظر: النكت والعيون، الماوردي، ج٦، ص٢٧٩. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ج٢٠، ص٣٤٩. التفسير الكبير، الرازي، ج١٦، ص٤٢٥.

## الوقفة الثالثة
## في حُكْمِ اقتحام العقبة وَأدلته

تبين من خلال الوقفة السابقة أن حقيقة معنى اقتحام العقبة يُرادف معنى مجاهدة النفس المتحقق بحمل النفس على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، لأنه لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن مرادها، ومخالفة شهواتها، واليقظة التامة الدائمة لها في جميع أحوالها، ومتى غفل عنها راعيها استهوته إلى الوقوع في المنهيات، لذا تعين مجاهدتها، واقتحام عقباتها فيما ينفعها حالاً ومآلاً.

ولقد تضافرت نصوص الوحيين على وجوب مجاهدة النفس وإلزامها بشرع ربها، وعلى هذا فاقتحام عقبة النفس الكؤود، وتسليم انقيادها لحكم بارئها وإلزامها بشرعه القويم أمرٌ واجبٌ

ومحتمٌ على مدى الأنفاس، وهو مقتضى الإيمان، فطريق اقتحام العقبة لابدَّ فيه من بذل الجهد واستفراغ الوسع، ولن يُنال هذا المُنى، ولا يُدْرَكُ بالهوينا، بل يجب على العبد أن تهون عليه نفسه في الله، ويَقْدُمُ على اقتحام العقبة ولا يخاف الأهوال، فمتى خافت النفس الاقتحام تأخرت، وأحجمت، وأخلدت إلى الأرض.

ورأس مال الأمر وعموده دوام التفكر والتدبر في آيات الله وآلائه، فإذا صارت معاني القرآن وأحكامه منقوشة في القلب والنفس بحيث تصير مَفْزَعُهُ ومَلْجَؤُه تمكَّن حينئذ الإيمان من قلبه، واستقام له سيره، واتضح له طريقه، وأصبح ساكنًا وهو يُباري الريح[١].

---

[١] انظر: الرسالة التَّبوكيَّة، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. (جدة: مكتبة الخرَّاز، ط١، عام١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص١٩٢-١٩٣، ١٩٥.

**ومن الأدلة الدالة على وجوب اقتحام العقبة على كل مكلف، ما يلي:**

**أولاً: السياق القرآني الذي ورد فيه، قوله تعالى ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ ﴾ البلد: ١ - ١١.

وجه الدلالة من الآيات الكريمة:

أَقْسَمَ الله ﷻ في مستهل سورة البلد بالبلد الأمين مكة المكرمة أم القُرى أفضل البلدان على الاطلاق، خصوصاً وقت حُلول الرسول ﷺ فيها، ثم أقسم ﷻ بالوالد وما ولد، أي: آدم وذريته

في قول جمهور المفسرين[٢]، والمُقسَمُ عليه (أي جواب القسم)، قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾، وفيه تأويلان[٣]:

<u>الأول</u>: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فِي كَبَدٍ [٤] ﴾، أي في شدَّةٍ ومشقَّةٍ ومعاناةٍ، وفي هذا "تنبيه إلى أن الإنسان خَلَقَهُ الله تعالى على

---

[٢] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٢٤، ص٤٠٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٨، ص ٤٠٣. فتح القدير، الشوكاني، ج٥، ص٥٦٠. بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، ج٥، ص٢١٦. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج٣٠، ص٣٠٩.

[٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٢، ص٢٩٢-٢٩٣. معالم التنزيل، البغوي، ج٥، ص٥٧٥-٥٧٦. البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، ج٨، ص٤٧٠. التفسير الكبير، الرازي، ج١٦، ص٤٢٠-٤٢١. زاد المسير، ابن الجوزي، ج٨، ص٢٦٦. الكشف والبيان، الثعلبي، ج١٠، ص٢٠٧. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٧، ص٦٢٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار. (القاهرة: ط عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ج٤، ص٣٢٢. المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، السيروان، ص٣٥٦.

[٤] أصل الكبد من (كَبَدَ الرجلُ كَبَدًا) فهو أكبد، إذا توجعت كبده وانتفخت، ثم استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة. انظر: الفتوحات الإلهية، العجيلي الشافعي، ج٨، ص٣٢٤. التفسير المأمون، مأمون حمّوش، ج٨، ص٤٤٧.

حالةٍ لا تَنْفَكُّ من المشاق ما لم يقتحم العَقَبَة ويَسْتَقِرُّ به القرارُ"[٥]،

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ ﴾ الانشقاق: ١٩، فهو يُكابد

ويُقاسي ألوانًا وأنواعًا من الشدائد في الدنيا، وفي الحياة

البرزخية، ويوم يقوم الأشهاد.

وأول هذه المكابدات: قَطْعُ سُرَّته، وشدُّ رِباطه، وما يُعانيه من

ضيقه وألمه، ثم يُكابد الرِضاع، ولو فاته لضاع، ثم يُكابد نَبْتَ

أسنانه، وتَحَرُّك لسانه، ثم يُكابد الفِطَام وما فيه من الأوجاع

والأحزان، ثم يُكابد المُعَلِّم وصَولَته، والمؤدِب وسياسته، ثم يُكابد

شُغْلَ التَّزويج والتعجيل فيه، ثم يُكابد شُغْلَ الأولاد والخدم، ثم

يُكابد شُغْلَ الدّور وبناء القصور، ثم الكِبَر والهَرَم وضَعْفَ الرُّكبة

---

لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٣٧٤-٣٧٧. الصحاح، الجوهري، ج٢، ص٥٢٩-٥٣٠.

[٥] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٢٢-٤٢٣.

والقدم في مصائب يكثرُ تعدادها، ونوائبَ يطولُ إيرادُها، من صُداع الرأس، ووجع الضرس، ورَمَدِ العين، وغمِّ الدَّين، ووجع السِّنِّ، وألم الأُذُن، ويُكابد محنًا في المال والنَّفْسِ، ولا يمضي عليه يومٌ إلا ويُقاسي فيه شدَّةً، ويُكابد فيه مَشقَّة، ثم الموتُ بعد ذلك كلِّه، ثم مُساءلةُ المَلَكِ، وضغطةُ القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقرَّ به المقام إمَّا في الجنة وإمَّا في النار، ولو كان الأمر إلى الإنسان لَمَا اختار هذه الشدائد، فَدلَّ هذا على أنَّ له خالقًا دبَّرَهُ، وقضى عليه بهذه الأحوال، فوجب امتثال أمره[6]، وينبغي له أن يَسعى في عمل يُريحه من هذه الشدائد، ويُوجب له

---

[6] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٢، ص٢٩٣. الفتوحات الإلهية، العجيلي الشافعي، ج٨، ص٣٢٤. ويُراجع: بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، ج٥، ص٢١٥-٢١٦. تفسير القرآن، أبو المظفر السّمعاني، ج٦، ص٢٢٦-٢٢٧. اللّباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ج٢٠، ص٣٤٣.

الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يُكابد العذاب الشديد أبد الآباد[٧].

والتأويل الثاني: لقوله تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ أي: في أحسن تقويم، وأقوم خلقه، يقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومن رجع إلى نفسه وكرر النظر فيها تبين له حكمة اللطيف الخبير في تركيب البدن، ووضع الأعضاء مواضعها، وإعدادها لما أُعدت له، وتقدير كل عضوٍ منها للأرب والمنفعة المهيأ لها، فاليدان للأخذ والإعطاء والمحاربة والدفع، والرجلان لحمل البدن والسعي والركوب وانتصاب القامة، والعينان للاهتداء والجمال، ورؤية ما في السموات والأرض وآياتهما وعجائبهما، والفم للغذاء والكلام وغير ذلك، والأنف للنَفَس

---

[٧] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٧، ص٦٢٨.

وإخراج فضلات الدماغ وزينة للوجه، والأذنان صاحبتا السماع وتلقي الأخبار، ومن لطف الله ورحمته وحكمته أن جعل الحواس في الرأس كالمصابيح فوق المنار، ولم تُجعل في الأعضاء التي تُمتَهن كاليدين والرجلين، فتتعرض للآفات بمباشرة الأعمال والحركات، ولا جعلها في الأعضاء التي في وسط البدن والظهر، فيعّسر التلفت والاطلاع على الأشياء، فلما لم يكن لها في شيءٍ من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أليَق المواضع بها وأَجملها، فالرأس صومعة الحواس، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤.

وأعجب من هذا كله تصوير الإنسان في الرحم، حيث لا تراه العيون، ولا تلمسه الأيدي، ولا تصل إليه الآلات، فيخرج بشراً سويًا مستويًا لكل ما فيه مصلحته وقوامه من عضو وحاسة، وعظام مختلفة الشكل والقدر والمنفعة والموضع، إلى غير ذلك من

اللحم والشحم والمخ، وما في ذلك من دقيق التركيب ولطيف

الخِلْقَة وبديع الصنعة، كل هذا خلق ربنا الرحيم في قطرةٍ من ماءٍ

مهينٍ[٨].

من ألهمها أن تكون هكذا؟ ومن أرشدها إليه؟ ومن دلها عليه؟

أفيجوز أن يكون هذا من غير مدبرٍ عزيزٍ حكيمٍ، وتقدير عزيز

عليم، وتقدير لطيفٍ خبير، بهرت حكمته العقول، وشهدت له

الفطر بما استودعها من تعريفه بأنه الله الذي لا إله إلا هو

الخالق الباريء المصور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأنه لو كان

---

[٨] انظر:مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: حسان عبدالمنان الطيبي، عصام فارس الحرستاني. (بيروت: دار الجيل، ط١، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج١، ص٤٥٥، ٤٥٩. ويُراجع: تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق، أنس عبدالحميد القوز. (الرياض: دار الهُدى للنشر والتوزيع، ط٢، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٦٥، ٧٧. الله يدعونا للنظر في آياته وعظمته في خلقه، أُسامة نعيم مصطفى الناعسة. (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٤٩-٧٢.

معه في سماواته وأرضه إله سواه لفسدت السموات والأرض، واختل نظام العالم.

وأولى التأويلين بالصواب - والله أعلم - الأول[٩]، لأنه هو المعروف من كلام العرب من معاني الكَبَدِ[١٠]، فالإنسان خُلِقَ يُكابدُ الأمور ويعالجها، بدءًا من الولادة، إلى المتاعب المعيشية والأمراض الطارئة، ثم إلى الموت وما يتبعه في قبره والبرزخ وآخرته من شدائد ومتاعب وأهوال[١١].

وعلى أي التأويلين كان المعنى فالمتعين على هذا المخلوق الضعيف الذي خُلِقَ في أحسن تقويم من كل الوجوه، أن يشكر ربه على

---

[٩] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٢٤، ص٤١٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٨، ص٤٠٥. البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، ج٨، ص ٤٧٠. التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج١٦، ص٤٢٤.

[١٠] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٢٤، ص٤١٢.

[١١] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣٠، ص٢٤٥- ٢٤٦.

نعمائه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وأن يستعين بها على طاعته، وتحقيق عبوديته التي من أجلها خُلق، وأنه لن يقدر على هذا إلا باقتحامه لعقبة نفسه الكؤود[١٢]، التي قد تَبْطُرُ في حال العافية، وتتأبى على خالقها، فتمضي بصاحبها مع هواها .

فلا يحسبنَّ هذا الجاهل الظالم لنفسه أن حال الرخاء ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، لذا أنكر ﷻ على الإنسان ظنَّه وحسبانه هذا، وأنه لن يقدر عليه مَنْ خَلَقَهُ في هذا الكبد والشدة والقوة التي يُكابدُ بها الأُمور، فقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾كما تضمن النص القرآني إنكار ثانٍ على الإنسان مؤداه قوله: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾، أي كثيرًا بعضه فوق بعض،

[١٢] أصل معنى كلمة "الكؤود": كَأَدَ: تكأدَ الشيء إذا تكلفه، وعقبةٌ كؤود وكأداء: شاقة المصعد، صعبة المرتقى. انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٣٧٤. الصحاح، الجوهري، ج٢، ص٥٢٩.

مفتخرًا بإنفاقه الأموال الطائلة على شهوات نفسه وملذاتها، وسمى الله ﷻ الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود إليه من إنفاقه إلا الندم والخسارة والتعب والقلِة، فما تجاوزت نفسه عقبة فتنة المال[١٣] بسلام، ولم يعمل بحق الله فيه، بل صرفه في غير حقِّه، ولو أنفقه في وجوهه التي أُمر بإنفاقه فيها، ووضعه مواضعه، لم يكن ذلك إهلاكًا له، بل تقربًا به إلى الله، وتوصلاً به إلى رضاه وثوابه، فأنكر سبحانه وتعالى افتخاره وتبجحه بإنفاق المال في شهواته وأغراضه

---

[١٣] قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾الأنفال: ٢٨، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾التغابن: ١٥.

التي إنفاقه فيها إهلاكٌ له، كما وبخه ﷻ وأنكر عليه إنكارًا ثالثًا

بقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ .

أي: أيظن هذا المفتخر بما أنفق في الشهوات، أن الله لا يراه ولا

يحاسبه على الصغير والكبير؟

بل: قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكَّل به الكرام الكاتبين،

لكل ما عمله من خيرٍ وشرٍ، والذي وهب عبده عينان يُبصر بهما

أحق بالرؤية منه.

فكيف يعطيه البصر من لم يره؟! وكيف يعطيه آلة البيان مِنَ

الشفتين واللسان، فينطقُ، ويبينُ عما في نفسه، ويأمر وينهى من

لا يَتكلم ولا يُكلم، ولا يُخاطب ولا يأمر ولا ينهى؟! وهل كمال

المخلوق مستفادٌ إلا من كمال خالقه؟

فقرره مولاه بنعمه عليه بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ فهذه نِعم الدنيا، ثم قال - جلَّ في علاه - في نِعم الدين: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[١٤]، فمن جعل غيره عالمًا بطريقي الخير والشر، يكون أولى وأحق بالعلم منه، ومن هداه إلى هذين الطريقين كيف يليق به أن يتركه سُدىً، ولا يُعَرِّفَه ما يضره وما ينفعه في معاشه ومعاده؟ وهل النبوة والرسالة إلا لتكميل هداية النجدين؟

---

[١٤] النَّجْدُ هو:المكان الغليظ الرفيع، وعُبر عن طريقي الخير والشر بالنجدين، للدلالة على صعوبتهما ووعورتهما، واحتياجهما إلى مجاهدة النفس لعبورهما بشدةٍ وسرعةٍ. انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٤٨٥. المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، السّيروان، ص٣٩٩. اللّباب في عُلوم الكتاب، أبوعادل الحنبلي، ج٢٠، ص٣٤٥. التفسير المنير، الزحيلي، ج٣٠، ص٢٥٠. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج٣٠، ص٣١٣.

فدلَّ هذا كله على إثبات الخالق وصفات كماله، وصدق رسله، ووعده ووعيده.

هذه أُصول الإيمان التي اتفقت عليها جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم، ومن تأمل وتفكَّر في نفسه وخِلْقَته أيقن حتمًا وجوب قيامه باقتحام العقبة التي بينه وبين ربِّه، التي لا يصل إليها حتى يقتحمها بالإحسان إلى خلقه بفكِّ الرقبة، وهو تخليصها من الرقِّ ليخلصه الله من رقِّ نفسه ورقِّ عدوه، وإطعام اليتيم والمسكين في يوم المجاعة، وبالإخلاص له ﷻ بالإيمان[١٥] الذي هو خالص حقه عليه، وهو تصديق خبره

---

[١٥] قال تعالى بعد ذكر ما تقتحم به العقبة: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ البلد: ١٧، أي كان مقتحم العقبة من الذين آمنوا، فإنه إن لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من هذه الطاعات، ولا مقتحمًا للعقبة، فإن قيل: لما كان الإيمان شرطًا للانتفاع بهذه الطاعات، وجب كونه مقدمًا عليها، فما السبب في أن

وطاعة أمره، وابتغاء وجهه، فدخل في هذا كل قولٍ وفعلٍ واجبٍ أو مستحبٍ، وبنصيحة غيره بالصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك، والإتيان به، كاملاً مُنْشرحًا به الصدر، مُطمئِنة به النفس، وكذلك بنصيحة غيره بالرحمة، وقبول وصية من أوصاه

---

الله تعالى أخره عنها بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، والجواب من وجوه: أحدهما: أن هذا التراخي في الذكر لا في الوجود، لأنه لا بدَّ أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الإيمان، إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع، وثانيها: ثم كان في عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الإيمان، إذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات، وثالثهما: أن المراد تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة من العتق والصدقة، لأن درجة ثواب الإيمان أعظم بكثير من درجة ثواب سائر الأعمال. انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج١٦، ص٤٢٨-٤٢٩. البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، ج٨، ص٤٧١. الفتوحات الإلهية، العجيلي الشافعي، ج٨، ص٣٢٨. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٢، ص٣٠٥-٣٠٦. ويُراجع: فتح القدير، الشوكاني، ج٥، ص٥٦٣.تفسير القرآن، أبوالمظفر السمعاني، ج٦، ص٢٣١. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٣٠، ص٣١٨-٣١٩.

بها، فيكون صابرًا رحيمًا في نفسه، معينًا لغيره على الصبر والرحمة.

فمن لم يقتحم هذه العقبة، وهلك دونها هلك منقطعًا عن ربه، غير واصل إليه، بل محجوبًا عنه.

وعلى هذا صار الناس قسمان:

ناجٍ، وهو: من قطع العقبة وصار وراءها.

هالكٌ، وهو: من دون العقبة.

ولا يقتحم هذه العقبة إلا المضمرون، فإنها عقبة شاقَّة المرتقى، لا يقطعها إلا خفيف الظهر وهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، والهالكون دون العقبة الذين لم يصدقوا الخبر، ولم يُطيعوا الأمر، فهم ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ قد أطبقت عليهم، فلا يستطيعون الخروج منها، كما أُطبقت عليهم أعمال الغيِّ المنافية

لما أخبرت به رسله، فلم تخرج قلوبهم منها، كذلك أطبقت عليهم هذه النار، فلم تستطع أجسامهم الخروج منها[١٦].

فتأمل وتفكر في نفسك، وحالك معها، مع أي الفريقين تمضي بك؟ أو تمضي بها؟

وخاتمة القول في هذا الدليل المتضمن لأدلة عدة: أن اقتحام عقبة النفس تكليفٌ شرعيٌ لا تعتق رقبة العبد من النار - برحمة الله - إلا بتجاوزها، وتطويعها لبارئها حتى يتسلمها منه آمنة مطمئنة، راضيةً مرضيةً.

---

[١٦] انظر: بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، ج٥، ص٢١٧-٢١٩. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٧، ص٦٢٩-٦٣١. ويُراجع: فتح القدير، الشوكاني، ج٥، ص٥٦١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٢، ص٢٩٤-٢٩٧. فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي البخاري، ج١٥، ص٢٤٠-٢٤٤. معالم التنزيل، البغوي، ج٥، ص٥٧٥-٥٧٦.

## ثانيًا: النصوص الآمرة بمجاهدة النفس:

ومن هذه النصوص:

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾الحج: ٧٨.

وجه الدلالة من الآية الكريمة: يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يجاهدوا فيه حق جهاده "بأن يبذلوا له أنفسهم، ويفردوه بالمحبة والعبودية، ويختاروه وحده إلهًا معبودًا محبوبًا على كل ما سواه، كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلههم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم فيؤثرونه في كل حالٍ على من سواه، كما اتخذهم عبيده وأولياءه وأحباءه وآثرهم بذلك على من سواهم"[١٧].

---

[١٧] بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، ج٣، ص٢٢٣. ويُراجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣، ص٢٣٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٢، ص٩٩. التفسير

إن تصدير النص بصيغة الأمر يدل على وجوب[18] مجاهدة النفس جهاداً خالصاً لا يشوبه تقصير في طاعة الله، مع منع داعي النفس إلى المعصية وردَّها عن هواها[19]، "ليسلم للعبد قلبه

---

الكبير، الفخر الرازي، ج١٢، ص٧٣. فتح القدير، الشوكاني، ج٣، ص٤٧٠. معالم التنزيل، البغوي، ج٤، ص١٣٤-١٣٥. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٥، ص٣٢٩. منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون، ج١، ص ٣٧٩-٣٨٣.

[18] من القواعد الأُصولية المقرَّرة في علمِ الأصول: أن الأمر يدل على الوجوب إذا جُرِّدَ من القرينة التي تصرفه إلى النَّدْب، فهو حقيقة في الوجوب عند جمهور العلماء من السلف والخلف. انظر: شرح الكوكب المنير المسمى: بمختصر التحرير في أُصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد. (الرياض: مكتبة العبيكان، ط عام١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٣، ص٣٩. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. (القاهرة: دار الكتب، ط١، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٣٦٠. نيل السول على مرتقى الوصول، محمد يحي الولاتي. (الرياض: مطابع دار عالم الكتب، ط عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص١٢٥.

[19] انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج١٧، ص ٢٥٠-٢٥١.

ولسانه وجوارحه لله، فيكون كله لله، وبالله، لا لنفسه، ولا بنفسه"[٢٠]. وبهذا القدر من الجهاد والمجاهدة يتم اقتحام العقبة.

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩.

وجه الدلالة من الآية الكريمة: دلَّ ختم النص القرآني على أن من أحسن في بذل مجهوده في اتباع مرضاة الله، وترك معصيته، أعانه الله، ويسرَّ له أسباب الهداية[٢١]، وإصابة الطريق المستقيمة التي بها يُنال نصر الله ومعونته في الدنيا، والثواب والمغفرة في العُقبى[٢٢]، فتعليق الهداية بالجهاد دليل وجوبه، فأكمل الناس

---

[٢٠] بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، ج٣، ص٢٢٤.

[٢١] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٦، ص١٠٨. ويُراجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣، ص٤٢٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٣، ص٣٦٤-٣٦٥.

[٢٢] انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج٤، ص٣٨٧.

هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، ومن ترك جهاد نفسه واقتحام عقبتها، فاته من الهُدى بحسب ما عطّل من مجاهدتها[٢٣].

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات: ٤٠ – ٤١.

وجه الدلالة من الآية الكريمة: إن نهي النفس عن الهوى إنما يتحقق بمجاهدتها وزجرها عن المعاصي والمحارم[٢٤]، وعلاجها من آفاتها، وإلزامها بتقوى الله ﷻ لتكون من أهل السعادة في جنة المأوى، وفي هذا بيان لأهمية ووجوب مجاهدة النفس، وأن قيمة

---

[٢٣] انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج٣، ص٣٨١.

[٢٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٩، ص٢٠٨. معالم التنزيل، البغوي، ج٥، ص٥٢٠. فتح القدير، الشوكاني، ج٥، ص٣٨٠. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٧، ص٥٦٥. ويُراجع: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج٣٠، ص٨٢-٨٣. التفسير المأمون، مأمون حمّوش، ج٨، ص٣٣٦.

العبد ومكانته عند ربه بحسب ما يبذل من مجاهدة نفسه وتقويمها[٢٥] واجتياز عقباتها.

٤. أخرج الترمذي[٢٦] من طريق فَضَالَة بن عُبَيد ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ).

وجه الدلالة من الحديث: دلَّ الحديث الشريف بمنطوقه أن المجاهد على الحقيقة من جاهد العدو الداخل المخالط وهو: النفس[٢٧] على طاعة الله، "لأن النفس مَيَّالة إلى الكسل عن الخيرات، أَمَّارة بالسوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبرٍ وجهادٍ في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها

---

[٢٥] انظر:منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون، ج١، ص٣٨١.

[٢٦] أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا، ج٣، ص٨٩."والحديث حسنٌ صحيحٌ".

[٢٧] انظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي. (القاهرة: دار الوحي المحمدي)، ج٧، ص١٢٢.

عن معاصي الله، ورَدْعِها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات: امتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور.

فالمجاهد حقيقةً: مَن جاهد نفسه على هذه الأمور، لتقوم بواجبها ووظيفتها"[٢٨] التي من أجلها خُلقت.

وبهذا القدر من الاستدلال يتبين:

التطابق بين حكم اقتحام العقبة من خلال ذِكر حكم مجاهدة النفس، وأنهما كما تطابقا معنى تطابقا حكمًا.

وأن حقيقة العبودية التي خَلَقَ الله الخَلْق لأجل تحقيقها، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات: ٥٦، لا

---

[٢٨] بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبدالرحمن الناصر السعدي. (الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط٣، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص٢٥.

تتأتى إلا باقتحام عقبة النفس الأمارة بالسوء، والإحسان إليها بدوام مجاهدتها، وصدق امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وهي فرض على كل عبدٍ حتى الممات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر: ٩٩، وهي مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وعن هاتين الكلمتين يُسأل كلُّ عبدٍ يوم القيامة، وفي البرزخ، ويُطالب بها في الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار[٢٩].

وعلى هذا: فاقتحام عقبة النفس ومجاهدتها وسيلة تحقيق العبودية الدائمة لرب العالمين، وهي غاية واجبة[٣٠]، وتأخذ

---

[٢٩] انظر: الرسالة التبوكية، ابن القيم الجوزية، ص٧٩،٧٧.

[٣٠] انظر: العبودية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري. (مصر: دار الأصالة للنشر والتوزيع، ط٢، عام١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص٢٣. شرح العبودية، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي. (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط١، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٧-٨.

الوسيلة حكمها فيكون اقتحام العقبة واجب كذلك، لنيل رضوان الله و الجنة. وهذا المعنى من أبين الأدلة على وجوب اقتحام عقبة النفس ولزوم حراسة ثغرها لئلا يدخل معه العدو، فيجوس خلال الديار[٣١]، فطوبى لمن سعى لصلاح نفسه وسعادتها، وفك رقبته من رق نفسه بدوام مجاهدتها وغزوها.

---

[٣١] بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، ج١، ص٥٤٢.

# الوقفة الرابعة

## في الأسباب المعينة على اقتحام العقبة

**توطئة:**

عندما خلق الله تعالى النفس البشرية، خلق معها قوة الاستعداد لفعل الخير أو الشر، وجعل للإنسان الاختيار التام للمنهج والنجد الذي يريد اختياره دون أن يكون مسيَّرًا لطريق ما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾الشمس:٧ – ٨.

وترتب على هذه الحرية في الاختيار الثواب أو العقوبة يوم الحساب، وذلك بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٩ – ١٠. فالعُقبى الحسنة لأُولئك الذين فهموا الغاية من الخلق، وهي العبادة بمفهومها الشامل، وعرفوا في ذات الوقت العوائق والعقبات التي تعيقهم من تحقيق هذه

الغاية والتي من أشدها خطرًا وأثرًا هذه النفس التي بين جوانحهم، فقاموا بتزكيتها وتقويمها وتذليلها لبارئها حتى ذلَّت بعد كبرياء، وهدأت بعد هياج وعراك، فأصبحوا هم السادة لتلك النفوس يقودونها حيث يُريدُ مولاهم، لقيامهم بالأسباب الشرعية المعينة على تجاوز عوائقها وعلائقها.

أما أولئك الذين جزعوا من هياجها، وذلوا لكبريائها، وخافوا من وحشتها فأفلتوا لها الزمام، وقبلوا بالعبودية لها وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، تقودهم حيث تريد من الهوى، فقد خابوا وخسروا الدنيا والآخرة بعد أن تجاوزت نفوسهم بهم الحدود التي وضعها الله في كتابه الكريم وبينها رسوله ﷺ في سنته[1]،

---

[1] انظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، مراجعة وتقديم: عجيل النشمي. (الكويت مكتبة المنار الإسلامية، ط٣، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٩. ويُراجع: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق:

فعطَّلوا وأهملوا كل سبب يعينهم على الانتصار على أنفسهم، وذلك لإيثارهم للعاجلة على الباقية، وحسبوا أن الله خالقهم في هذه الدار بغير محنة يمتحنهم بها، وبغير اختبار يختبرهم به، ليعلم الصادق في دينه من الكاذب فيه[٢]. إنه الابتلاء بالنفس، والامتحان باقتحام عقباتها.

ولقد يسَّر ربنا الرحيم الكريم أسباب وسبل اقتحامها لمن أراد أن يرحم نفسه ويكرمها كرامة الدارين، ومن هذه الأسباب:

---

أحمد شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص٤٤-٤٦.

[٢] قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ التوبة: ١٦.

## أولاً: معرفة النفس التي يتعيَّنُ اقتحام عقبتها:

إنَّ هذا السبب بمثابة الأساس لما بعده من أسباب، وهو أول ما يجب على العبد معرفته والتفكّر فيه، لأنه لا ينتفع أحدٌ بنعمة الله عليه بالإيمان والعلم، إلا من عرف نفسه، ووقف بها عند قدرها وحدها، ولم يتجاوزه إلى ما ليس لها[٣].

وليُعلم ابتداءً: أن أعدى عدو للإنسان هي نفسه التي بين جنبيه، أُبتلي بعداوتها ومحبتها، وقد خُلقت أمارة بالسوء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي ﴾يوسف: ٥٣، أي كثيرة الأمر لصاحبها بالسوء وسائر الذنوب، فهي مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان[٤]، فالآية دليلٌ بينٌ على أن هذا وصف النفس من حيث هي "أَمَّارَةٌ بالسُّوء" لا "آمرة" لكثرة ذلك منها،

---

٣ انظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص٢٠٢.

٤ انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٤، ص٣٨.

وأنه عادتها ودأبها[٥]، وأنها لا تخرج عن هذا الوصف إلا برحمة من الله، ولطف منه، لا منها، لأنها خُلِقت في الأصل جاهلة ظالمة، والظلم والجهل لا يأتي منهما إلا كل شرٍ، فإذا أراد الله ﷻ بها خيرًا مَنَّ عليها بالعلم النافع الذي يُخرجها به عن وصف الجهل، وبسلوك طريق العدل والعمل الصالح في الأخلاق

---

٥ انظر: رسالة في أمراض القلوب، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط عام ١٤٠٣هـ)، ص٧٧. بدائع الفوائد المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، جمع وتخريج: محمد بن رياض الأحمد. (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٧٥. ويُراجع: منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون، ج١، ص٤٩-٥٢. منهج التابعيين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٢٣-٢٥.

والأعمال الذي يُخرجها به عن وصف الظلم، فتصير مطمئنة إلى طاعة الله وذكره[٦].

وحقيق بمن هذا شأن نفسه أن يرغب بها إلى خالقها وفاطرها أن يقيه شرها، وأن يُؤتها تقواها ويُزكيها، فهو سبحانه وتعالى خير من زكاها، فإنه ربها ومولاها، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، فإنه عز وجل إن وكله إليها هلك، فما هلك من هلك إلا حيث وُكِلَ إلى نفسه[٧]، لذا استعاذ صلى الله عليه وسلم من شرِّها عمومًا، ومن شرِّ ما يتولد منها من الأعمال، ومن شرِّ ما يترتب على ذلك من المكاره والعقوبات، وجَمَعَ الاستعاذة من شرِّ النفس ومن سيئات الأعمال، كما ورد في

---

٦ انظر: مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، ج١، ص١٨٢-١٨٣. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٤، ص٣٨. رسالة في أمراض القلوب، ابن قيم الجوزية، ص٧٧. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ج١، ص٥٠١.

٧ انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج١، ص١٨٣.

خُطْبة الحاجة أنه كان يقول ﷺ: (إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِيَ لَهُ...)[٨]، "فالشرُّ كامن في النفس، وهو يُوجب سئات الأعمال، فإن خلَّى الله بين العبد وبين نفسه سقط بين شرّها وما تقتضيه من سيئات الأعمال، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله"[٩].

---

٨ هذه خُطبة الحاجة كما ذكرها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيما اخرجه أبو داود في سننه، مراجعة ضبط وتعليق: محمد محي الدين عبدالحميد. (مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع)، ج١، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، ص٢٨٧، والترمذي في سننه، أبواب النكاح، باب ما جاء في خُطبة النكاح، ج٢، ص٢٨٥، واللفظ له، وقال: حديث صحيح، ص٢٨٦، وقد استحبَّ أهل العلم البدء بها في مقدمة كل خُطبة أو درس أو كتاب تأسيًا برسول الله ﷺ.

٩ الرُّوح، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. (بيروت: دار الندوة الجديدة)، ص٢٢٦.

"وقد جعل الله ﷻ للإنسان في مقابلة هذه النفس نفساً مطمئنة، فإذا أمرته النفس الأمارة بالسوء، نهته عنه النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة، وهذه مرة، وهو للغالب منهما"[١٠]. ومن عرف حقيقة نفسه وما طُبعت عليه، عَلِمَ أنها تدعوه إلى المهالك، وتهديه إلى كل قبيح، هذا طبعها، وتلك سجيتها، ولولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ النور: ٢١، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ الحجرات: ٧، فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها، ولكن هو الله

---

١٠ الوابل الصيب ورافع الكَلم الطيِّب، أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون. (بيروت: مكتبة المؤيد، ط٣، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٢٧. ويُراجع: رسالة في أمراض القلوب، ابن قيم، ص٧٥-٧٦.

الذي مَنَّ بهما فجُعل العبد بسببهما من الراشدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾الحجرات: ٨، عليمٌ بمن يصلح لهذا الفضل ويزكو به، ويثمر عنده، حكيمٌ فلا يضعه عند غير أهله فيضيعه بوضعه في غير موضعه[١١].

وبهذا يُعلم أنَّ ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة، ولا تشبهها ضرورة تُقاس بها، فإنه ﷻ إن أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك.

وصدق أحد الحكماء حيث قال: "من توهم أن له وليًّا أولى من الله فقد قلَّت معرفته بالله، ومن توهم أن له عدوًا أعدى من نفسه فقد قلَّت معرفته بنفسه"[١٢].

---

١١ انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج١، ص١٨٣.

١٢ منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٣٩.

فالنعمة التي لا خَطَرَ لها: الخروج منها، والتخلص من رقِّها، فإنها أعظم حجاب بين العبد وربه، وأعرف الناس بها أشدهم إزراءً عليها ومقتًا[١٣] لها وزهدًا فيها، "فمقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أَضعاف أَضعاف ما يدنو بالعمل"[١٤]، فالنفس أَهلٌ أَن تُمقت في الله، لأنها تدعو لسلوك سبيل الضلال، وتصرف عما يرضى الله، وتُوقع فيما يبغضه، فوجب مقتها والحذر منها غاية

---

١٣ المَقْتُ: البغض الشديد لمن يفعل القبيح. يُقال: مَقَته يَمْقُته مِقْتًا، إذا: أَبغضه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢﴾ النساء: ٢٢، وكان يُسمَّى تَزَوُّجُ الرَّجُلُ امرأة أَبيه: نكاح المَقْتِ. انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ج٤، ص٥١٥. المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٤٧٣. المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، السّيروان، ص٣٨٩.

١٤ رسالة في أمراض القلوب، ابن القيم، ص٨٧.

الحذر، والنظر في حق خالقها عليها، فإن من حقه عليها أن يُطاع ولا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه عَلِمَ عِلْمَ اليقين أنه غير مؤدٍ له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله وبأنفسهم، وهو الذي أيأسهم من أنفسهم وعلَّق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته[١٥].

إنَّ مقت النفس والزهد فيها حتى لا يبقى لها عند صاحبها قدرًا هو عين حياتها وصحتها، وبتجاوز العبد عقبة مقت النفس والزهد فيها ينحدر منها إلى وادي الحياة الحقة، ويشرب من عينها، فتخلص نفسه من سجون المحن والبلاء وأسر الشهوات، وتتعلق بربها ومعبودها الحق، فيا قرة عينها به، ويا نعيمها

---

١٥ انظر: المصدر السابق، ص٨٨.

وسرورها بقربه، ويا بهجتها بالخلاص من أسرها[١٦]، وإذا حصل للنفس هذا الحظ الجليل، استقامت على الأمر الديني الذي يحبه الله ويرضاه، تعظيمًا له ﷻ ولأمره، وإيمانًا واحتسابًا لثوابه، وخشية من عقابه، فصارت نفسًا مطمئنة بعد ما تبدلت صفاتها، وانقلب طبعها، لاستغنائها بما وصل إليها من نور الحق ﷻ، فجرى أثر ذلك النور في سمعها وبصرها وشعرها وبشرتها وعظمها ولحمها ودمها، وسائر مفاصلها، وأحاط بجهاتها من فوقها وتحتها، وعن يمينها وشمالها، وخلفها وأمامها، وصارت ذاتها نورًا، واستغنت به عن التطاول إلى الشهوات التي تُوجب اقتحام الحدود، والتقاعد عن الأمور المطلوبة المرغوبة، وأصبحت

---

١٦ انظر: تقريب الهجرتين، صالح الشامي، ص٣٥٧.

حرةً طيبةً مطمئنة، غنية بما أغناها به مالكها وفاطرها من نور معرفته، وصدق الإيمان به، وبوعده ووعيده[١٧].

وخاتمة القول[١٨] في هذا السبب الجلل:

إنَّ من لم يعرف حقيقة نفسة التي أُبتلي بها أنَّى له أن يعرف ربه الذي ابتلاه بها، فمن عرف نفسه عرف ربه.

"فإذا عرفتها حَذِرتَهَا، فإذا حذرتها تَفَقَّدتها، فإذا تفقدتها أبصرت رَوغانها من طاعة رَبَّها ﷻ، وتَزَيُّنَها بما لا يُحِبُّ خالُقِها

---

١٧ انظر: المصدر السابق، ص٩٨-١٠٠.

١٨ إن الحديث عن صفات النفس وخصائصها المحمودة والمذمومة حديث يطول باعه، وما ذُكر في شأن معرفتها من صفات يُشير إلى باقيها من : قابليتها للخير واستعدادها لذلك، وقدرتها على التكاليف، وتسويلها وتزينها لصاحبها فعل الخطأ، مع اتصافها بالإرادة الحرة، واستجابتها للموعظة ودعوة الحق. ولمزيد من البيان يُراجع: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني. (دمشق: دار القلم، ط٣، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٢٢٩-٢٥٥. منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون، ج١، ص٤١-٥٨. منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٢٣-٢٩.

لأنها معدنُ كُلُّ سوء، والداعية إلى كل بَليَّة، وقد أخبرك عنها خالقها أنها بالسوء أمَّارة، وللهوى المُرْدِي متَّبعة، فَخُذْ منها حذرك، واتهمها على دينك"[١٩]. "فإن عرفتها ازددت لله حبًا ومودة، ولها بغضًا ومقتًا، وعلى الله توكلاً وثقةً، ومنها إياسًا، وإلى الله طمأنينة، ومنها حذرًا ووجلاً، فاعرفها واعرفه ﷻ فإنك إنْ عرفتها صَدَقْتَهَا، وإنْ صدقتها لم تُداهِنْهَا، ولم تَمِلْ مع هواها، صدقت الله واتقيته، وأنبت إليه، ووثقت به"[٢٠]، وأعانك على اقتحام عقباتها.

---

١٩ الرِّعاية لِحُقوق الله، الحارث المحاسبي، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزغلي. (بيروت: دار الجيل، ط١، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص٣١١.

٢٠ المصدر السابق، ص٣١٧.

## ثانيًا: الاستعانة بالله تبارك وتعالى والتوكل عليه:

إن الطريق إلى دار السَّلام سَهْلٌ مُيَسَّرٌ لمن يَسَّره الله عليه، وصدق في الاستعانة به، والاجتهاد في طاعته، والعبد في سيره إلى الله والدار الآخرة مفتقرٌ ومحتاجٌ إلى التوكل على ربه القوي المتين، الذي اقتضت حكمته البالغة أن يخلقه ضعيفًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾النساء: ٢٨ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ الروم: ٥٤ ، وضعف الإنسان متحققٌ فيه من جميع الوجوه: ضعف البنية، وضعف الإرادة والعزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر[٢١]، وضعف القدرة على الضبط الدائم تجاه دوافع نفسه وغرائزه وشهواته، وتظهر في الإنسان حالات ضعفه إذا نزل به

---

[٢١] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٢، ص٥٤.

المرض، أو حلَّ به البلاء، أو فاجأته المصيبة، أو استبد به الهوى، أو استولت عليه الشهوة، أو داهمته المزعجات، أو وقعت به المؤلمات، أو هزَّه الخوف، أو اشتد به الطمع، أو تعرض لأحوال النسيان والخطأ، أو عجز عن الصمود تجاه الإكراه بقوةٍ فوق قوته، وحسب الإنسان ضعفًا أنه عرضة لأن ينسى بعد العلم، ويُجن بعد العقل، ويمرض بعد الصحة، ويشيخ ويهرم بعد الشباب، وأنه لا بد في ختام الأمر أن يموت بعد الحياة[٢٢].

ومن حكمة الله ورحمته بعبده أن يُريه ضعفه وقلة حيلته، وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية مولاه له لما وصل إلى قوةٍ وقدرةٍ[٢٣].

---

[٢٢] انظر: الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن الميداني، ج١، ص٣٧٣.

[٢٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٦، ص١٤٢.

ومخلوق هذا شأن وصف خِلقته وصفته لا يقوى البتَّة على اقتحام عقبة نفسه التي تتأبَّى عليه، مستقلاً بذاته، فإنه ليس له من الأمر شيءٌ، والأمر كله لله.

فإذا عزم باغي الوصول إلى دار السلام بأمانٍ وسلام فما عليه إلا أن يَصْدُقَ ربه في صدق التوكل عليه، والاستعانة به، وكمال حسن الظن به، والوثوق في حصول الإعانة، والظفر بالوقاية من نفسه الأمارة بالسوء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾آل عمران: ١٥٩. عليه اللاجئين إليه، ولا عاصم للعبد من المهلكات والعقبات والموبقات سوى اعتماده على الله والاستعانة به لإصلاح دينه في القيام بالواجبات وترك المنهيات، وفي حصول ما يُحبه ويرضاه من الإيمان واليقين، وهدايته إلى

صراطه المستقيم، وهذا من أعظم التوكل عليه ﷻ التوكل في الهداية، وتجريد التوحيد، ومتابعة الرسول الامين ﷺ.

إن الاستعانة بالله والتوكل عليه من أعظم واجبات الإيمان، وأفضل الأعمال المقربة إلى الرحمن، فالأمور كلها لا تحصل ولا تتم إلا بالاستعانة به ﷻ ، وهذا لا يتحقق إلا "بصدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضارِّ من أمور الدنيا والآخرة كلها، وَكِلَة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه"[٢٤]. "مع القيام بالأسباب المأمور بها والاجتهاد في تحصيلها"[٢٥]، دون التعلّق بها.

---

٢٤ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٧، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٢، ص ٤٩٧. ويُراجع: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق ودراسة: يحيى بن محمد بن عبدالله الهنيدي. (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، عام

فعُلِمَ من هذا أنه لا بدَّ لتحقيق الاستعانة الحقَّة بالله والتوكل عليه من أمرين:

الأول: الاعتماد على الله اعتمادًا صادقًا حقيقيًا.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها[٢٦].

فمن فقد هذين الأمرين أو أحدهما خَسِرَ وخَابَ، ومن سعى في الأسباب المباحة واعتمد على ربِّه وشَكَرَ المولى إذا حَصَلَت له

---

١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ١٨٥. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام السلمي، اعتنى به: حسان عبدالمنان. (الأردن: بيت الأفكار الدولية)، ص٧٧. التعريفات الاعتقادية، سعد آل عبداللطيف، ص ١٣٥-١٣٦.

٢٥ الروح، ابن القيم الجوزية، ص٢٥٤. ويُراجع: تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، ص٣٣٧. بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ج٢، ص٣١٦.

٢٦ انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين. (الرياض: دار العاصمة، ط١، عام ١٤١٥هـ)، ج٢، ص١٨٥.

المحبوبات، وصبر لحُكمه عند المصائب والملمات، فقد فاز وأنجح واستولى على جميع الكمالات[٢٧]، وأُعين على تجاوز العقبات.

فيا مريد اقتحام العقبة، وتجاوز الأكَمة[٢٨]، وبلوغ القمة بأمنةٍ عليك بثلاث كلمات هنَّ روح التوكُّل والاستعانة:

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: ٥.

٢. "حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ".

٣. "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"، والتي هي كنز من كنوز الجنة[٢٩] تُوصلُ العبد إلى كل خيرٍ عميم.

---

٢٧ انظر: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي. (عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، عام١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٧٧.

٢٨ هي التّل وهي دون الجبال، وهي الموضع الذي يكون أشَدَّ ارتفاعًا مما حوله وهو غليظ الحجارة. انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج٤، ص٧٥. أساس البلاغة، الزمخشري، ص٨.

وعلى هذا: فالعبد ليس له من نفسه قُوة يقدر بها اقتحام العقبة، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فهو الذي بيده الحول كله، والقوة كلها، وإليه يُرجع الأمر كله، "وكلما قَوِيَ طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجاته ودفع مكارهه، قويت عبوديته له، وحُريَّته مما سواه"[٣٠]. وسَهُلَ عليه السير إلى دار القرار، ليقين العبد بفقره وعجزه التام عن تحصيل مراده وتمام قدرة الله - الوكيل - على فعل ما يُريد وفوق ما يُريد، فينقطع طمع العبد في نفسه، وفيما في أيدي الناس وفي دنياه توكلاً على ما عند الله.

---

٢٩ كما جاء في صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا )، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ). كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، ج١١، ص١٨٧.

٣٠ العبودية، ابن تيمية، ص١١٤.

فَمَنْ عَلِمَ أنَّه فقيرٌ إلى ربِّه في كل أحواله كيف لا يتوكَّلُ عليه؟!

وَمَنْ عَلِمَ أنه عاجزٌ مضطرٌ إلى مولاه كيف لا يستعين به ويُنيبُ إليه؟!

وَمَنْ تَيَقَّنَ أن الأمور كُلَّها بيد الله كيف لا يطلبها ممَّن هي في يّدَيه؟!

وَمَنْ عَلِمَ بسعة غناهُ وجوده كيف لا يلجأُ في أموره كلِّها إليه؟!

وَمَنْ استيقن أنه ﷻ أرحمُ بعبادِه من الوالدةِ بولدها كيف لا يطمئن قلبه إلى تدبيره؟!

وَمَنْ عَلِمَ أنَّه حكيمٌ في كلِّ ما قضاه كيف لا يرضى بتقديره؟!

فيا أيُّها العبد المقبلُ على اقتحام عقبة نفسك: إنك لن تنالَهُ إلا ببذل المجهودِ، والاستعانة والاعتماد على المعبود.

ويا أيُّها المجاهد نفسه عن المعاصي والذنوب إنه لن ولا يتيَسَّرُ لك تركها إلا بقوة الاعتصام بعلام الغيوب، فإنه من توكل عليه كفاه، ومن استعان به واعْتَصَمَ أَصلَحَ له دِينَه ودُنياه، ومن أُعجب بِنَفسه وانقطع قلبه عن ربِّه خابَ وخَسِرَ أُولاهُ وأُخراهُ.

فكم من ضعيفٍ عاجزٍ عن مصالحه قويَ توكله على ربه فأعانه عليها، وكم من قويٍ اعتمد على قوَّته فخانَتْه أحوج ما يكون إليها، ما ثمَّ إلا عون الله وتوفيقه فهو عدَّة المؤمنين، ولا فلاح ولا سلامة ولا سعادة إلا بعبادة الله والاستعانة به فهو المعبود وهو نعم المعين[٣١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ المتحنة: ٤

---

٣١ انظر: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، السعدي، ص٧٨.

## ثالثًا: تقوى الله عز وجل:

إن من عَرَفَ نفسه بضعفها وعجزها وظلمها وجهلها، ثم أحسن الاعتماد على ربه بقلبه في الوقاية من شرها وسيئات أعمالها، لا بدَّ له من زاد يتزود به في طريق سيره إلى لقاء الله، ليصل سالمًا غانمًا محمود العاقبة، حسن الخاتمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ١٩٧ ﴾ البقرة: ١٩٧.

فتقوى الله[٣٢] هي الزاد الحقيقي الدائم نفعه في الدنيا والآخرة، وحقيقتها: "العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أُمرَ به إيمانًا بالأمر، وتصديقًا بوعده، ويَترك ما نُهي عن

---

٣٢ وردت مادة كلمة (وقى) بتصاريفها المختلفة (٢٥٨) مرة في القرآن الكريم مما يؤكد أهمية ومنزلة تقوى الله في القرآن العظيم. انظر: التقّوى، صلاح الدين ماردينى (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٢٢.

إيمانًا بالنهي وخوفًا من وعيده"[٣٣] . فأصل زاد التقوى: "أن يجعل العبدُ بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وعقابه وسخطه وقايةً تَقِيه من ذلك، بفعل طاعته واجتناب معاصيه"[٣٤] . وتقوى الله فضلاً عن كونها خير زاد ولباس[٣٥] تُقطع بها منازل السير إلى الله والدار الآخرة، فهي تكليفٌ شرعي تكاثرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بالأمر بها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾الأحزاب: ٧٠ وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾البقرة: ٢٠٣ . وثبت في السنة النبوية الأمر بتقوى الله ﷻ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه

---

٣٣ التعريفات الاعتقادية، سعد آل عبداللطيف، ص١١٥. ويُراجع: الرسالة التبوكية، ابن القيم، ص٤٣.

٣٤ جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص٣٩٨.

٣٥ قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾الأعراف: ٢٦.

مسلم[٣٦] من طريق أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا ـ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ). ففي الحديث تأكيدٌ على أن التقوى من عمل القلب، وهو محلها، وأن أعمال الجوارح الظاهرة تابعةٌ لأعمال القلب الباطنة بما يقع فيه من تقوى الله، وعظمته، ومحبته، وخشيته،

---

٣٦ كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج٤، ص١٩٨٦.

ومراقبته[٣٧] ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾الحج: ٣٢.

ألا وإن مقتحم العقبة المُتقّي لمّا سكَن قلبَه خوفُ الله وخشيته ترك المحارم والمآثم، ولمّا رغب فيما عند الله سارع إلى الخيرات فأدرك المغانم، ولمّا رأى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها لم يعلق قلبه بشهواتها الدنية، ولما علم ما في الآخرة من النعيم المقيم بادر السعي لنيل مطالبها النفيسة، لا تجد المتقي المقتحم لعقبة نفسه إلا مشتغلاً بفرائض الله، متباعدًا عما يكرهه الله، قد كفَّ بطنه وفرجه عن الحرام، وصان لسانه عن اللغو والشتم وجميع الآثام، إنْ وَقَعَ في ذنوب بادر إلى التوبة منها، وإن مالت نفسه إلى المعاصي صرفها وصدف عنها، بارًا بوالديه وَصولاً لأرحامه،

---

٣٧ انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص٢٧٦. ويُراجع: الفوائد، ابن القيم، ص٢٠٧-٢٠٨.

طريقته كظم الغيظ والعفو والإحسان، وخليقته حسنُ المعاشرة والقيام بحقوق كل إنسان، إن أصابته المصائب الفادحة صبر عليها صبر الكرام، وإن نالته السرَّاء والنعم لم يبطر واشتغل بشكر ذي الفضل والإنعام، حشوُ قلبه الإنابة التامة والنصح للعباد، نقيًّا من الغلِّ والحِقْدِ والكِبْرِ وأخلاق الفساد، لسانه رطب من ذكر الله وأعضاؤه بكل خير تنفعل وتنقاد.

فيا متنكِّبًا طريق مقتحم العقبة: لا بدَّ أن تصبح من النادمين حتى تقول: لو أن الله هداني لكنتُ من المُتَّقين، ولو رجعتُ إلى الدنيا لكنتُ من المحسنين، يا حسرتى على ما فرطّتُ في جنب الله، هيهات ذهبت اللذات وبقيت التَّبعات، وتقطعت قلوب القاعدين من الفوات وشدة الحسرات، فلا اعتذار مسموع ولا نافع، وليس

لهم عمل منقذ ولا حميم شافع، قد حِيل بينهم وبين ما يشتهون، ولم يُغْنِ عنهم ما كانوا يمتعون[٣٨].

ومن عَلِمَ شدة حاجته إلى صافي الحسنات غدًا في القيامة، غَلَبَ على قلبه تقوى مولاه في هذه الدار وأجاد السير على جادة التقوى حتى يأتيه اليقين.

**رابعًا: الصبر:**

إن العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة السفر هي عمره الذي كُتب له، وما الأيام والليالي إلا مراحل لسفره، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة، حتى ينتهي السفر، والكيّس الفطن

---

٣٨ انظر: مجموع خطب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في المواضيع النافعة. (عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٢٨٠-٢٨١.

هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، ولا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها، فيحمد سعيه، ويبتهج بما أعده ليوم فاقته، وحاجته[٣٩]. وحتى يتمكن من الظفر بسلامة الحال والمآل، لابدَّ أن يكون معه زادًا يتقوى به على بلوغ تمام سفره، فلا يكلّ ولا يملّ، بل يجتهد ويحسن الاجتهاد، وخير عُدَّة لذلك وأفضل سلاح هو الصبر، وبدونه لا يستطيع القيام بحق العبودية الكاملة لله في أثناء مدة سفره، فكم من مسافر جزوع ترك طاعة مولاه إلى معصيته لخوائه من عَتاد الصبر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾البقرة: ٤٥، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾النحل: ١٢٧.

---

٣٩ انظر: تقريب طريق الهجرتين، صالح الشامي، ص٣١٠.

والصبر من أجل مقامات الإيمان، وسبب في حصول كل كمال، فأكمل الخلق أصبرهم، ولم يتخلف عن أحدٍ كماله الممكن إلا من ضعف صبره، فكمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص في اقتحامه لعقبة نفسه - وغيرها من العقبات - ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقصٌ كذلك، فإذا انظم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل، ومعلوم أن شجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على ساق الصبر، ولو علم العبد الكنز العظيم الذي تحت هذه الأحرف الثلاثة: أعنى اسم "الصبر" لما تخلف عنه أحد[٤٠].

وحقيقة الصبر: حبس النفس وإلزامها ما يشق عليها ابتغاء وجه الله، وتمرينها على الطاعة وترك المحارم، وعلى الأقدار المؤلمة

---

٤٠ انظر: تقريب طريق الهجرتين، صالح الشامي، ص٣٧٥.

رضى بقدر الله، فمَن عرف ما في طاعة الله من الخير والسعادة هان عليه الصبر والمداومة عليه، ومن عرف ما في معصية الله من الضرر والشقاء سهل عليه اقتحام عقبة المعصية، وإرغام النفس والإقلاع عنها، ومَن علم أن الله عزيز حكيم، وأن المصائب بتقدير الرؤوف الرحيم، أذعن للرضى، ورضي عنه الله وهُدى قلبه للإيمان والتسليم.

فيا قاصد اقتحام عقبة الأمراض والأسقام والآلام والأحزان: أذكر ما جرى على أيوب عليه السلام كيف أثنى الله عليه بالصبر وحصول الزلفى حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٤٤﴾ص: ٤٤.

ويامَن فَقَد سمعه أو أَخَذ الله عينيه: أما علمت أن الله لا يرضى بعوضٍ سوى الجنة لمن صبر حين يأخذ حبيبتيه؟

ويا من فُجع بأحبته وقرة عينه وأولاده وأخدانه: أما علمت أن مَن حَمِدَ واسترجع بَنَى الله له بيت الحمد في دار كرامته، وكان ذلك زيادة في إيمانه وثقلاً في ميزانه، وأن مَن مات له ثلاثة من الولد أو اثنان أو واحد فصبر واحتسب كان حجابًا له من النار، ورفعةً له في دار القرار.

أما سمعتَ أنَّ من صبر على الفقر والجوع والخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات، فإنَّ له البشارة بالهداية والرحمة من ربه والثناء والصلوات.

ويا مَن أصيب بآلام أو جروح أو أمراض تعتري بدنه وتغشاه: أما سمعت قوله ﷺ: (فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا[٤١] أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا)[٤٢]، وقوله ﷺ: (مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ

---

٤١ هي مثل العثرة يعثرها برجله وربما جرحت إصبعه، وأصل النكب: الكبّ والقلب.

بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)[٤٣].

فيا سعادة مَن رضي بالله ربًا فتمشى مع أقداره واقتحمها بطمأنينة قلب، وسكون نفسٍ، وعلم أن الله أرحم به من والديه فأحسن اللجأ والتضرع إليه[٤٤]، وخفَّ عليه حمل البلاء لملاحظته لعاقبة مرتقى الصبر وحسن جزائه، والوثوق به ومطالعته إياه، وكلما ارتقى درجة في اقتحام عقبة نفسه لاح له شهود العوض، ومآل لذة الصبر الحميدة[٤٥].

---

٤٢ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يُصيبه، ج٤، ص١٩٩٣، "من طريق أبي هريرة رضي الله عنه".

٤٣ سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، ج٤، ص٢٨، "وهو حديث حسنٌ صحيحٌ".

٤٤ انظر: مجموع خطب الشيخ عبدالرحمن السعدي في المواضيع النافعة، ص٢٩٠-٢٩١.

٤٥ انظر: تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، ص١٣٨.

ومما تقدم يُعلم: حاجة مقتحم عقبة نفسه إلى الصبر، وأنه لا يستغنى عنه في حالٍ من الأحوال:

إن كان في باب المعاصي يفتقر إلى الصبر عنها حتى لا يرتكبها.

وإن كان في باب الطاعات فيحتاج إلى الصبر عليها حتى يؤديها.

وإن كان في البليات فصبر عليها حتى لا يتسخط ويستعتب على القضاء، فيشكو ربه فيها[٤٦].

وليتذكر المجاهد لنفسه: أن جميع ما يلقاه في هذه الحياة لا يخلو من: ما يوافق هواه، وما لا يوافقه بل يكرهه، لذا فهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وعلى قدر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يكون صبره، فباعث الدين هو: ما هُدي إليه الإنسان من معرفة الله ورسوله ﷺ، ومعرفة المصالح

---

٤٦ انظر: تقريب طريق الهجرتين، صالح الشامي، ص٣٧٤.

المتعلقة بالعواقب[٤٧]، وباعث الهوى هو: "إيثار مَيل النفس إلى الشهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ"[٤٨]، فمن ثبت حتى قهر هواه واستمر على مخالفة الشهوة التحق بالصابرين، ووصل بسلام إلى جنان النعيم، ومن تخاذل وضعف حتى غلبته شهوته ولم يصبر في دفعها تردى أسفل سافلين.

وعلى المقتحم الرشيد العاقل أن يتنبه حتى يحسن غزو نفسه على الدوام:

أنه لا قِبل له ولا قدرة ولا حياة بالصبر عن الله وإرادته ومحبته وسَيّر القلب إليه، فهذا الصبر يتضمن تعطيل كمال العبد

---

٤٧ انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ضبط وتعليق: محمج علي قطب. (بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم)، ص٥٦.

٤٨ انظر: موسوعة نضرة النعيم، مجموعة من المختصين، ج٩، ص٣٧٥٢. ويُراجع: التعريفات، الجرجاني، ص٣٢٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، ص٣٣١.

بالكلية، وتفويت ما خُلق له من غاية، وهذا كما أنه أقبح الصبر، فهو أبلغه خطرًا فإنه لا صبر أردأ من صبر من يصبر عن ربه وخالقه الذى لا حياة له بدونه البتة، كما أنه لا زهد أبلغ من زهد الزاهد فيما أعدَّ الله لأوليائه من كرامته مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فالصبر مع الله وفاء بعهده، والصبر عن الله جفاء ونقض لحكمه[٤٩].

ومسك الختام خير الكلام:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

## خامسًا: الدعاء

٤٩ انظر: عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ص٤١-٤٢.

إن الدعاء من أقوى الأسباب المعينة على اقتحام عقبة النفس وهو دليل فقر العبد وضعفه وعجزه وقلة حيلته، لذا كان فضل الله علينا عظيماً وكبيراً حين أذن لنا بدعائه، بل حبَّبه إلينا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾البقرة: ١٨٦ ، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾غافر: ٦٠، وسمَّاه الله تعالى عبادة، فقال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾غافر: ٦٠، وذلك بعد ما أمر بدعائه. وأخرج الترمذي في سننه[٥٠] من طريق النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ) فهو من أعظم القُرب لرب العالمين، وبه يُدرِكُ العبدُ

---

٥٠ أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ج٥، ص١٢٦، وقال: حديث حسن صحيح.

الدنيا والدّين، وبكثرة الإلحاح فيه على الله ينقطع الرجاء من المخلوقين، ويكمل رجاؤه وطمعه في رحمة أرحم الراحمين.

ألا وإن الدُّعاء يُنبئُ عن حقيقة العبودية وقوة الافتقار، ويُوجب للعبد المجاهد نفسه خضوعه وخشوعه لربه وشدة الانكسار[٥١].

ولِمَا لا يكون العبد كذلك وجميع أموره بيد مولاه، مالك لها متصرف فيها؟ بل قلبه الذي بين جنبيه، وهو أعظم ما يملك، بيد مالكه ﷻ يقلّبه كيف يشاء، ويصرفه كيف يشاء، ولذا كان أعظم ما يدعو به العبد ربّه أن يثبت قلبه على الحق وهو في طريق سيره لاقتحام العقبة فلا يَزِيغ ولا ينتكس[٥٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ

---

٥١ انظر: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، السعدي، ص٨٤- ٨٥.

٥٢ انظر: الثبات على دين الله وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، الأمين الصادق الأمين. (الرياض: دار ابن الجوزي، ط١، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج٢، ص٧٤٥-٧٤٦.

قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨.

والمرء محتاج إلى الدعاء في كل حال من أحوال حياته بدوام الهداية والاستقامة على الطاعة فعلاً، وعن المعصية تركًا، وعلى القَدَرِ صبرًا وشكرًا، فكم من دعوة صادقة خرجت من قلب صادق رفع الله بها المكاره وأنواع المضارِّ، وَجَلَبَ بها الخيراتِ والبركاتِ والمسارِّ، وكم تعرَّض العبدُ لنفحات الكريم في ساعات الليل والنَّهار، فأصابته نفحة منها في ساعة إجابة، فسعد بها وأفلح والتحق بالأبرار، وكم يَضَّرع تائبٌ فتاب عليه وغفر له الخطايا والأوزار، وكم دعاه مضْطرٌ فكشَفَ عنه السوءَ، وزال عنه الاضطرار، وكم لجأ إليه مستغيث فأغاثه ﷻ بخيره المدرار، فمن وُفِّقَ لكثرة الدعاء فليبشر بقرب الإجابة، ومن أنزل حوائجه كلها

بربه فليطمئن بحصولها من فضله وثوابه، فحقيقٌ بك يا باغي اقتحام عقبة نفسك والفكاك من أسرها: أن تُلِحَّ بالدعاء ليلاً ونهارًا، وأن تلجأ إليه سرًا وجهارًا.

وأن تعلم أنَّه لا غنىً لك عنه طرفة عينٍ في شأنك كله[٥٣] حتى تخلص روحك إلى رَوْحٍ وريحان، وربٍّ راضٍ غير غضبان.

ولتتذكر في طريق سيرك إلى لقاء مولاك اللهج بأجمع دعاءٍ وأكمله وأنفعه وأولاه بالإيثار، والذي كان يُكثر من الدعاء به نبيك ﷺ ويحث عليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ البقرة: ٢٠١، وقوله تعالى عن يوسف نبيه عليه السلام:

---

٥٣ انظر: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، السعدي، ص٨٥.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ يوسف: ١٠١.

فجمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب ﷻ وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من مُوالاة غيره، والوفاة على الإسلام وهي أجلُّ غايات العبد، وذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء[٥٤].

هذه أمهات الأسباب والوسائل الشرعية المعنية - بتوفيق الله - على اقتحام عقبة النفس وغيرها من العقبات، ومن الأسباب المتفرغة عن ما ذُكر من أسباب على سبيل الإجمال ما يلي:

---

٥٤ انظر: الفوائد، ابن القيم، ص٢٨٥.

### ١. محاسبة النَّفس:

وهي أنواع، منها المحاسبة المتقطعة، والتي تأتي بين فترات متباعدة، ومنها ما يعقب الخطأ الجسيم، ومنها المحاسبة الآنية وهي أفضلها، حيث يحاسب المرء نفسه على كل خطأ تقوم به، وهي النَّفس اللوامة التي أقسم الله تعالى بها[٥٥]، هذه المحاسبة لا يمكن أن تبدأ دونما الانتباه واليقظة لتحركات هذه النفس، واتهامها قبل اتهام الآخرين، والبحث عن عيوبهم، وهذا هو المدخل النافع لمحاسبة النفس واقتحام عقبتها، ولا يظن ظان أن المحاسبة مقتصرة على المعاصي، وما هو من جنس ذلك، بل إنها تشمل حتى الطاعات إذا خِيف أن تُؤثر على الاستقامة على طريق السير إلى الدار الآخرة، بما تغرسه أحيانًا من غرورٍ

---

٥٥ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ القيامة: ١ – ٢

واستعلاء على الآخرين، وعجبٍ يُنْسى الموفق لهذا الصلاح أنه فضل الله وتوفيقه.

إن الغفلة عن محاسبة النفس هي قاطع الطريق الأول عن تذكر الهدف من الخلق، وتذكر الأعداء الذين يترصدون بالمرصاد لهذا العبد المؤمن الذي سلك طريق الحق، فكانت محاسبة النفس من القُرَب التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ويستعين بها في تزكية نفسه وصلاحها[٥٦]. والبُعْدُ بها عن مزالق الشيّطان، وهي دليل على الخوف من الله، ومن خاف من الله بلغ المنزل.

---

٥٦ انظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٦٤،٦١،٥٩-٦٥. ويُراجع: موسوعة نضرة النعيم، مجموعة من المؤلفين، ج٨، ص٣٣١٧-٣٣٢٤. الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، ص٢٧-٣٦.

## ٢. ملازمة الأعمال الصالحة:

لقد أمر الله عباده المؤمنين المحبين للقائه أن يلازموا الطاعات، ما داموا في هذه الحياة، إلى أن يبلغوا الممات. فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران: ١٠٢، وحق تقاته: هي استفراغ الوسع في القيام بالواجب، واجتناب المحارم، بأن لا يترك العبد شيئًا ممَّا يلزمه فعله، ولا يفعل شيئًا مما يلزمه تركه، ويبذل في ذلك جهده ومستطاعه[٥٧] من كل عمل صالح يحبه الله ويرضاه، فالواجب المحافظة على نعمة الإسلام بدوام العمل الصالح في حال الصحة والسلامة

---

٥٧ انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٣٦٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٤، ص١٥٧-١٥٨. جامع البيان، الطبري، ج٤، ص١٩.

لأجل الموت عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه[٥٨].

إنَّ على المسلم الناصح لنفسه، والذي يَبْغي سلامتها ونجاتها وفوزها أن يطرق أبواب الأعمال الصالحة كلها، وأن يحرص على الاستزادة منها، فهي خير معين ـ بعد توفيق الله وعونه ـ على مجاوزة كل عقبة كؤود.

### ٣. كثرة الاستغفار:

وحقيقته: "طلب المغفرة من الله، وهو محوُ الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شرِّه"[٥٩]. أخرج أبو داود في سننه[٦٠] من طريق عبدالله بن

---

٥٨ انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٣٨٨. ويُراجع: جامع البيان، الطبري، ج٤، ص١٩-٢٠.

٥٩مدارج السالكين، ابن القيم، ج١، ص٢٥٢.

٦٠ سُنن أبي داود، أبو سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. (مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع)، كتاب الصلاة، باب

عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) دلَّ الحديث الشريف "على أن الاستكثار من فضيلة الاستغفار فيه المخرج من كل ضيقٍ، والفرج من كل هم، وحُصول الأرزاق للمستغفر من حيث لا يحتسب ولا يكتسب، فمن حصل له ذلك عاش في نعمةٍ سالمًا من كل نقمة"[٦١]، فائزًا في اجتياز كل عقبة ومحنة.

وأتم صيغ الاستغفار وأكملها، ما أخرجه البخاري[٦٢] من طريق شدَّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ

---

الاستغفار، ج٢، ص٨٥، والحديث صححه ابن حبان. انظر: تحفة الذاكرين بُعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد الشوكاني. (بيروت: دار القلم، ط١، عام ١٩٨٤م)، ص٢٩٨.

٦١ تحفة الذاكرين، الشوكاني، ص٢٩٨-٢٩٩.

٦٢ كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، ج١١، ص١٣٠.

أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ). فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأنه خالقه العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقَّه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا وليَّ سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده ـ وهو أمره ونهيه ـ الذي عَهَدَه إليه على لسان رسوله ﷺ، وأن ذلك بحسب الاستطاعة لا بحسب أداء الحقّ فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهد المُقلِّ، وقدر الطاقة مع تصديقه ـ أي العبد ـ بوعده الذي وعده لأهل طاعته بالثواب، ولأهل المعصية بالعقاب، وهو

مُقيمٌ على العهد، مُصدِّقٌ بالوعد، مُعْتَصِمٌ به ﷻ من شرِّ ما فرَّط في جنبه، سائِلٌ ربَّه المغفرة ومَحْوَ الذنوب، والعافية من شرِّها، فلهذا كان هذا الدعاء سيِّد الاستغفار[٦٣].

فليبشر بخيرٍ قاصد اقتحام العقبة إن لزم الاستغفار، وأكثر منه بأن عقباه حميدة، وخُطاه مأمونة، وسلامة وصوله مضمونة برحمة ربِّ البرية.

### ٤. مُجالسةُ الأخيار والصالحين:

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨.

فهذا أمرٌ من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ - وغيره أُسوته في

---

٦٣ انظر: تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، ج١، ص٢٢٠-٢٢١.

الأوامر والنواهي ـ أن يصبر نفسه مع المؤمنين المنيبين ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فالآية الكريمة آمرة بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحْصى، ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك، فدلت الآية الكريمة على أن الذي ينبغي أن يُصاحَب ويُجالس ويُطاع من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضيه فقدمها على هواه. فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله[٦٤]، مع النهي في المقابل عن مصاحبة من كان من أهل الغفلة وكان أمره فرطًا أي ضائعًا

---

٦٤ انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج٤، ص٢٩-٣٠.

متروكًا يُفرط فيما يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه يكمن رشده وفلاحه، واتبع ما لا ينبغي اتباعه وغفل عما لا يَحْسُن الغفلة عنه.

والمقصود: أن الله ﷻ نهى عن مصاحبة وطاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للمجاهد نفسه أن ينظر فيمن يعينه على مجاهدته لنفسه فمن غلب عليه ذكر الله تعالى ﷻ واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره فإن وجده فليستمسك بغرزه[٦٥]، ويحبس نفسه ويلزمها صحبته فإنه - بحول الله وقوته - سبب في تصبير وصبر النفس على حسن اقتحام ما يلقاه من فتن الحياة الدنيا ونصبها ووصبها حتى يلقى ربه.

---

٦٥ انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، ج٣، ص١٢٠.

كانت هذه هي أهم الأسباب المُعينة على اقتحام العقبة، يُرجى لمن عزم وصدق في العمل بها والسعي في تحصيلها أن ينال فوزًا مبينًا، وعِزًا مديدًا، ومآلاً حميدًا، ومقامًا عليًا من رب رحيمٍ، برٍّ، جوادٍ كريمٍ.

اللهم آمين

والحمدُلله رب العالمين.

# الخاتمة

الحمدُلله على عظيم مننه، وصلى الله على محمد عبده، وخاتم أنبيائه ورسله، وسلم تسليمًا كثيرًا ... وبعد:

فإن العاقلِ لا يرى لنفسه ثمنًا إلا الجنَّة، فلا يبذل نفسه إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله ﷻ، لذا كان اقتحام عقبة النفس الأمارة بالسوء برهان البذل الصادق، والذي ليس بين الفضائل والرذائل، ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأُنسها فقط.

فالسعيد من باع نفسه لبارئها، فأنست بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي حتى الممات، فكان من طلاب الآخرة الصادقين في سُكنى فردوسها الأعلى من الجنة.

هذا واجب مُلقى على رقاب الجميع، ورب العالمين هو المعين،

وحذار من التوبيخ يوم العرض العظيم بقوله ﷻ :

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾

وآخر دعوانا أن الحمدُلله رب العالمين، والصلاة والسلام على

خاتم الأنبياء والمرسلين.

# المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني. (دمشق: دار القلم، ص٣، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. (القاهرة: دار الكتب، ط١، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٤. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود. (بيروت: دار المعرفة، ط عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٥. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء. (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط عام ١٤٢١هـ).

٦. الإيمان باليوم الآخر، محمد بن إبراهيم الحمد. (الرياض: دار ابن خزيمة، ط٢، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٧. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، على محمد معوّض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٨. بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم الجوزية، جمع وتوثيق: يسري السيد محمد. (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٩. بدائع الفوائد المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، جمع وتخريج: محمد بن رياض الأحمد. (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار. (القاهرة: ط عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

١١. بُغية الزائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش. (بيروت: دار الفكر، ط عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

١٢. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبدالرحمن الناصر السعدي. (الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط٣، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

١٣. تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق، أنس عبدالحميد القوز. (الرياض: دار الهُدى للنشر والتوزيع، ط٢، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

١٤. التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور. (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، عام١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

١٥. تحفة الذاكرين بُعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد الشوكاني. (بيروت: دار القلم، ط١، عام ١٩٨٤م).

١٦. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق ودراسة: يحيى بن محمد بن عبدالله الهنيدي. (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

١٧. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري. (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

١٨. التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد بن علي آل عبداللطيف. (الرياض: دار الوطن، ط عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

١٩. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر الدين محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق وتعليق: محمود مطرجي. (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر).

٢٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة. (دار طيبة للنشر والتوزيع).

٢١. تفسير القرآن للإمام أبي المُظفَّر السمّعاني، منصور بن محمد بن عبدالجبار المروزي الشافعي، تحقيق: أبوبلال غنيم بن عباس بن غنيم. (الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٢٢. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حمّوش. (دمشق: ط١، عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٢٣. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق: أحمد فريد. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م).

٢٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي. (بيروت: دار الفكر، ط١، عام ١٤١١هـ/١٩٩١م).

٢٥. تقريب طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية، إعداد: صالح أحمد الشامي. (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، عام١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢٦. التقوّى، صلاح الدين ماrديني. (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٢٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي. (عنيزة: ط عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٢٨. الثبات على دين الله وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، الأمين الصادق الأمين. (الرياض: دار ابن الجوزي، ط١، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٢٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (بيروت: دار عالم الكتب).

٣٠. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، مراجعة: عبدالمنعم خفاجة. (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ط٢٨، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٣١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٧، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٣٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (مصر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

٣٣. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (بيروت: مؤسسة الرسالة).

٣٤. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. (بيروت: دار الكتب العلمية).

٣٥. الرسالة التبوكية، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. (جدة: مكتبة الخرّاز، ط١، عام١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٣٦. رسالة في أمراض القلوب، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط عام ١٤٠٣هـ).

٣٧. الرِّعاية لحُقوق الله، الحارث المحاسبي، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزغلي. (بيروت: دار الجيل، ط١، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٣٨. الرُّوح، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. (بيروت: دار الندوة الجديدة).

٣٩. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٤٠. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية).

٤١. سنن أبو داود، أبو سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. (مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع).

٤٢. سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبدالرحمن محمد عثمان. (بيروت: دار الفكر، ط٢، عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٤٣. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام السلمي، اعتنى به: حسان عبدالمنان. (الأردن: بيت الأفكار الدولية).

٤٤. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط عام ١٤١٣هـ).

٤٥. شرح العبودية، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي. (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط١، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٤٦. شرح الكوكب المنير المسمى: بمختصر التحرير في أُصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد. (الرياض: مكتبة العبيكان، ط عام١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٤٧. شرح مختصر الروضة، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبدالقوي ابن سعيد الطوفي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط٢، عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٤٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (ط٢، عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

٤٩. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري. (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر).

٥٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٥١. الضوء المنير على التفسير "من متن كتب ابن القيم الجوزية"، علي الحمد المحمد الصالحي. (الرياض: مكتبة دار السلام).

٥٢. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي. (القاهرة: دار الوحي المحمدي).

٥٣. العبودية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري. (مصر: دار الأصالة للنشر والتوزيع، ط٢، عام١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٥٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ضبط وتعليق: محمج علي قطب. (بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم).

٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: عبدالعزيز بن باز. (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر).

٥٦. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري، تقديم ومراجعة: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري. (مصر: المكتبة العصرية، ط عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٥٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرارية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مراجعة وتعليق: هشام البخاري، خضر عكاري. (بيروت: المكتبة العصرية).

٥٨. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية).

٥٩. الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت. (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٦٠. الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي. (عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، عام١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٦١. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (دار الكتاب العربي).

٦٢. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين. (الرياض: دار العاصمة، ط١، عام ١٤١٥هـ).

٦٣. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور،

مراجعة: نظير الساعدي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٦٤. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوّض. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م).

٦٥. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (بيروت: دار صادر).

٦٦. الله يدعونا للنظر في آياته وعظمته في خلقه، أُسامة نعيم مصطفى الناعسة. (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

٦٧. مجموع خطب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في المواضيع النافعة. (عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٦٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. (الرياض: دار عالم الكتب، ط عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م).

٦٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

٧٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، "وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال". (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨هـ).

٧١. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (بيروت: دار الفكر، ط عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٧٢. معجم البلاغة العربية، بدوي ظبانة. (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط٣، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٧٣. المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، عبدالعزيز عز الدين السيروان. (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، عام ١٩٨٦م).

٧٤. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي. (القاهرة: دار الغد العربي).

٧٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: حسان عبدالمنان الطيبي، عصام فارس الحرستاني. (بيروت: دار الجيل، ط١، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٧٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف: بالراغب الاصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عتياني. (بيروت: دار المعرفة، ط١، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

٧٧. منهج الإسلام في تزكية النفس، أنس أحمد كرزون.
(جدة: دار نور المكتبات، ط٢، عام١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٧٨. منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، مراجعة وتقديم: عجيل النشمي. (الكويت مكتبة المنار الإسلامية، ط٣، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٧٩. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد: مجموعة من المختصين. (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط١، عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٨٠. النُكت والعيون "تفسير الماوردي"، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، مراجعة وتعليق: السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم. (بيروت: دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية).

٨١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. (مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع).

٨٢. نيل السول على مرتقى الوصول، محمد يحي الولاتي. (الرياض: مطابع دار عالم الكتب، ط عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٨٣. الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. (الشارقة: جامعة الشارقة، ط١، عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٨٤. الوابل الصيب ورافع الكَلم الطيِّب، أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون. (بيروت: مكتبة المؤيد، ط٣، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

## هذا الكتاب

وقفاتٌ إيمانيةٌ تذكيريةٌ عن فقه المكابدة والمجاهدة لرعونات النفس الأمارة بالسوء، العقبة الكؤود، وذلك بالوقوف معها وقفات طويلة لفك أسرها، وعتقها بعد رِقِّها، لتُحسِنَ عبادة ربها فيما بقي من عمرها، الذي جعل ﷻ لحياتها أجلاً، ولأيامها وأنفاسها أمدًا.

فهنيئًا لمن اقتحم عقبة نفسه فباعها لله، فجازاه الكريم باجتياز عرصات وعقبات يوم العرض الأكبر، فيُقال لها:

رَبِحَ البَيعُ.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١.

وصدق من قال:

"من توهم أن له وليًا أولى من الله فقد قلَّت معرفته بالله، ومن توهم أن له عدوًا أعدى من نفسه فقد قلَّت معرفته بنفسه"




المكتب التعاوني للدعوة
والارشاد وتوعية الجاليات بحي السلامة
JEDDAH DAWAH CENTER

المملكة العربية السعودية - جدة - حي السلامة
ص.ب ٦٨٩٧ جدة ٢١٤٥٢ -هاتف: ٦٨٢٨٨٨٨ فاكس: تحويلة ١١١
Saudi Arabia - P.O.Box 6897 Jeddah 21452
Tel. 6828888 Fax. Ext.111 www.jdci.org

ردمك: ٣-٢٥-٨٠٥٤-٦٠٣-٩٧٨